

عرب إسرائيل بين ازدواجية الهوية ومحاولات التكيف في رواية (نادية) لجليلة رون- فيدر^١ دراسة في المضمون والشكل

د. رهام سيد عطية بدوي^(*)

مقدمة

يتناول البحث عرضاً لقضية عرب إسرائيل من خلال نموذج لرواية في أدب الطفل العبري الحديث بعنوان (نادية) حيث يعرض التمهيد بإيجاز لواقع هذه الفئة ودورها ومشكلاتها في المجتمع الإسرائيلي، وكذا لطبيعة تناول الشخصية العربية في أدب الطفل العبري الحديث وتبع تطور نظرة الأدباء لها، وانتماء الرواية لأدب الطفل يعد أمراً يلفت الانتباه لأسباب الكاتبة في تناول الشخصية العربية في أدب الطفل الإسرائيلي^٢، وما تحاول زرعه في وجدان الأطفال عن هذه الشخصية وطريقة التعايش معها، واستيعابها. ومما ساهم بشكل كبير في اتجاه الباحثة إلى اختيار هذه الرواية بالذات، وخاصة أنها صدرت في عام ١٩٨٥ أي في ثمانينيات القرن المنصرم بعد انتهاء فترات الحروب، تلك الفترة التي تلت حرب ١٩٧٣ بقرابة العشر سنوات مبرزة لتركيز الأدبية كأمراً على محاولات المجتمع الإسرائيلي لدمج الفتاة العربية فيه، وسيعنى البحث بالوقوف على دوافع هذا التناول ومظاهره في الرواية العبرية الحديثة لتلميذة عربية مسلمة تحمل الجنسية الإسرائيلية، وأسباب استيعابها في المدارس الإسرائيلية وأهدافه.

* - أستاذ اللغة العبرية وآدابها المساعد، كلية الآداب - جامعة القاهرة

يلي التمهيد مبحثان يُعنى أولهما بعرض مضامين الرواية موضوع البحث وتحليلها يسبقه توطئة بعرض موجز لموضوع الرواية، بينما يتناول المبحث الثاني نقدا شكليا للبنية الفنية وبنية الأسلوب، ويتبع ذلك خاتمة بنتائج البحث.

أهداف الدراسة وأهميتها

تنبع أهمية الدراسة من عدد من الأهداف التي تسعى لتحقيقها وإظهارها والتدليل عليها، وتتمثل في الآتي:

- ١- إبراز انعكاس معاناة عرب إسرائيل في الرواية العبرية الحديثة بقلم إحدى الكاتبات الإسرائيليات.
- ٢- الوقوف على ما تحاول الكاتبة الإسرائيلية غرسه في وعي النشء ووجدانه في سن الصبا^٣ سواء من قيم إيجابية، أو من محاولات للتعايش مع الآخر نابعة من فرضية الأمر الواقع.
- ٣- التدليل على تطور طريقة التناول لشخصية العربي في الأدب العبري الحديث من صورة مغرقة في السلبية لصورة أقل سلبية، وعلى الرغم من أن العرب مصنفين لصنفين في الرواية، إلا أن هذا لا ينفي التطور الكبير الذي طرأ على التعبير الأدبي العبري الحديث.
- ٤- دراسة الشكل دعما للمضمون وتأكيدا عليه، فالشكل وعاء يصب فيه المضمون، ورغم ذلك تركز الكثير من الدراسات في الأدب العبري الحديث على المضمون دون الشكل رغم أهميته في إبراز المضامين وصقلها، كما ترجع أهمية دراسة الشكل هنا كأحد أهداف الدراسة إلى أن هناك من النقاد من يوجه سهام نقده لجماليات النص لدى الكاتبة^٤، وهكذا تصبح دراسة الشكل معينة على إدراك إذا ما كانت الكاتبة ضعيفة فنيا حقا، أم أن هذا إدعاء من النقاد موجه ضدها بقصد التقليل منها، نظرا لدعوتها للتعايش مع الآخر العبري.

المنهج المتبع

سيتمتع البحث المنهج النقدي شاملا التحليل الأدبي والنفسي والاجتماعي في تحليل المضامين، ونقد البنية الفنية والأسلوب في الرواية نقدا شكليا، وكذا المنهج التاريخي في تتبع تاريخ عرب إسرائيل وتطورهم اختصارا في تمهيد البحث.

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع عرب إسرائيل بشكل عام، بل وتناولت موضوع الشخصية العربية باعتباره موضوعا يكشف عن نظرة الآخر لنا وأسباب هذه النظرة، ومحاولة إبراز ما في هذه الرؤية من تعميم أحيانا، وإجحاف في أحيان أخرى، كما أن هناك دراسات عدة تناولت موضوع أدب الطفل العربي الحديث عامة، ولا يتسع المجال لذكرهم جميعا، ولكن سيتم التركيز هنا على دراستين بالذات ورد فيهما الإشارة إلى الرواية موضوع البحث لتحديد الاختلاف بينهما وبين هذا البحث:

١- علي مُجَّد راشد: انعكاس شخصية العربي في أدب الأطفال في السنوات ١٩٩٠:

١٩١٥، جامعة بغداد، العراق . نسخة pdf على اللينك التالي:

<https://portal.arid.my/Publications/٩٧f٨١e٢٣-٥٢be-٤fb٩٠-٤ad-b٢١f٥٣b٤a٨a٣.doc>

ويتضح من العنوان أن الرواية وردت فيه كإشارة فقط ضمن عدد كبير من الروايات العبرية التي نشرت في تلك الفترة المذكورة في عنوان بحثه، ولم يركز البحث عليها بالذات بخلاف كونها ترد كنموذج رئيس لعرض الفكرة في بحثي يتم دراسته تفصيلا من حيث المضمون والشكل.

٢- ندى يسري علي أحمد: الدلالة المضمرة في رواية نادية - قصة تلميذة عربية للكاتبة الإسرائيلية جلييلة رون فيدر عميت - دراسة نقدية ثقافية، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، العدد ٢٢، يناير ٢٠٢٢.

والاختلاف في التناول بين الباحثين يرد في عدة نقاط :

أ- تركيز الدراسة السابقة فقط على تناول الرواية من باب الدلالات المضمرة الذي يعد أحد فروع الدراسات الثقافية متبعة منهجا نقديا ثقافيا، بينما ركز المنهج النقدي خاصتي على التحليل الأدبي للمضامين والبنية الفنية لإبراز ازدواجية الهوية وطرح إشكالية عرب إسرائيل من خلال الرواية بشكل أكثر تفصيلا يمتد ليشمل كامل المضمون وكامل العناصر الفنية

والأسلوبية المعبرة عنه، كما اعتمد بحثي كذلك على المنهج التاريخي في تتبع تاريخ عرب إسرائيل وتطورهم اختصاراً في تمهيد البحث.

ب- اعتماد الباحثة ندى في تتبع الدلالات المضمرة على عنصرين هما وحدات الزمان والمكان كعنصر أول، وعنصر الشخصية كعنصر ثاني، بينما أفاض بحثي ليشمل إضافة لذلك الحدث والحبكة والحوار وارتباط البداية بالنهاية، والتركيز على النهاية المفتوحة ورمزيتها وعتبات النص والأسلوب واللغة الموحية، وذلك لكون عنوانه يضم إضافة للمضمون البنية الفنية الشكلية تفصيلاً.

ج - اختلاف أهداف كلا الدراستين .

وعليه فقد اختلفت الدراستان في المنهج والهدف وطريقة التناول وعناصره، وبالتالي تنوعت النتائج مما يثري المجال البحثي.

تمهيد

أولاً: عرب إسرائيل واقعهم ودورهم في المجتمع الإسرائيلي

يحمل عرب إسرائيل مسميات عدة فهم عرب ٤٨ أو فلسطينيو ٤٨ أو المواطنون العرب في إسرائيل، وهم بالعربية בְּרִיטִים אִיזְרָאֵלִים، ويُطلق عليهم أيضاً عرب الداخل أو فلسطينيو الداخل، هم الفلسطينيون الذين يعيشون داخل حدود إسرائيل، وأحيانا ما يطلق عليهم الأدياء في إسرائيل الأقلية العربية، ويمثلون ٢١% من سكان إسرائيل حيث يبلغ عددهم قرابة المليون نسمة، وقد تم إضافة عدد يجاوز ٢ مليون نسمة لأعداد العرب في إسرائيل ضمن دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية^٦، ويرجع ذلك إلى أن إسرائيل تضم إليهم سكان الجولان المحتلة، وقاطني القدس الشرقية، بينما يعيش البقية في الجليل والنقب والمثلث.

أغلبهم من المسلمين من أهل السنة والجماعة، ومنهم أقلية من المسيحيين والدروز، يتحدثون العربية التي هي لغتهم الأم، وغالبيتهم يتقنون اللغة العربية الحديثة^٧.

يواجه عرب إسرائيل العديد من المشكلات في المجتمع الإسرائيلي^٨ يمكن توضيح أهمها في

الآتي:

١- مشكلات نفسية واستيعابية :

إنها مشكلات فرضتها ازدواجية الهوية، فرغم أن عرب إسرائيل ينتمون ثقافيا وفكريا وعرقيا لهوية عربية إلا أنهم ينتمون رغما عنهم لهوية إسرائيلية يضطرون أحيانا للتماهي معها للحفاظ على مصالحهم، مما يسبب لهم مشكلات نفسية عديدة في محاولة التغافل عن بعض الأمور وتجاهلها، بل في محاولة التأقلم على الوضع القائم والتكيف معه، بل وقبوله رغما عنهم في سبيل التعايش درءا للمشكلات.

وهناك مشكلات نفسية أخرى خلقتها صعوبة استيعابهم في المجتمع الإسرائيلي، فرغم أنهم يحملون الجنسية الإسرائيلية إلا أن السلطات الإسرائيلية لا يمكنها الاعتماد عليهم كجنود في الجيش مثلا، فإن مشكلة تجنيدهم في الجيش الإسرائيلي مشكلة استيعابية خطيرة، فطالما نظر اليهود إلى العرب لا سيما الفلسطينيين على أنهم العدو، فكيف يمكن اعتبارهم جزءا من جيش يحارب العرب كعدو أول؟ وفي الوقت ذاته كيف يمكنهم تجاهل كونهم مواطنين في إسرائيل لهم الحقوق والواجبات نفسها على هذه الأرض؟ فقد انبرت أقلام بعض الصحفيين والباحثين الإسرائيليين تكتب عن ضرورة استيعابهم في الجيش^٩، مدعين أنهم سيعانون الاغتراب في هذا المجتمع طالما وُجد هذا التمييز بينهم وبين غيرهم من المواطنين اليهود في إسرائيل^{١٠}، بل قال بعضهم أن علي عرب إسرائيل أن يقوموا بواجباتهم لقاء ما يحصلون عليه من حقوق^{١١}، وليست هذه الفكرة التي طرحها الصحفيون والباحثون هي مربط الفرس والنقطة الجوهرية في الموضوع، بل إن عرب إسرائيل أنفسهم لا يتخيلون أنهم يمكنهم في وقت من الأوقات أن يكونوا جنودا أمناء في جيش احتل أراضيهم، وشرد أهاليهم، وأقام وطنا على أنقاض قراهم العربية، فهم لم يقبلوا بجنسية المحتل حبا وكرامة بل تسليما وإينارا للسلامة.

وهذا باستثناء الدروز الذين انخرطوا في صفوف اليهود لدرجة مطالبتهم بالخدمة في الجيش عام ١٩٥٤، ويقول عزمي بشارة عن ذلك : " وقد لبي بن جوريون هذا المطلب عام ١٩٥٦، ومنذ ذلك العام مُهد الطريق لاتجاه هذه الفئة من العرب في الداخل نحو نتائج اجتماعية وسياسية كارثية." ^{١٢}

من المشكلات الاستيعابية الأخرى مشكلة التعليم، فإن أغلبهم يدرسون في مدارس عربية، ولكن هذا يقلل من فرصهم للقبول في الجامعات، الأمر الذي يضطر بعضهم للتسجيل في مدارس إسرائيلية باعتبارهم يحملون الجنسية الإسرائيلية، وبالتالي يواجهون مشكلات في التكيف مع اليهود والتعايش معهم، بل يواجهون مشكلات لغوية لا يضطرهم للتحدث بالعبرية، كما يواجهون مشكلات في اضطرارهم لدراسة العهد القديم في هذه المدارس رغم اختلاف الدين، ومع ذلك يحاولون بكل جهدهم الاستمرار واضعين غايتهم في الالتحاق بالجامعة دافعا للصدوم والتغاضي.

٢- مشكلات اجتماعية :

إنها مشكلات تظهر على السطح بطبيعة الحال للتحول المفاجيء من كونهم جزءا من مجتمع عربي فلسطيني يدينون له بالولاء، بل ويحافظون إلى الآن على علاقاتهم الطيبة معه في مناطق إقامة الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وبين كونهم جزءا من مجتمع إسرائيلي يضطرون لحمل جنسيته قهرا للبقاء في قراهم، وللإبقاء على ممتلكاتهم، وعدم التحول للاجئين يبحثون عن مقر يؤويهم، ووطن يستوعبهم، وتشمل كذلك وضع الأسرة العربية الشائك في الداخل الإسرائيلي ومشكلات التكيف والتعايش، والدراسة في المدارس والجامعات العبرية.

٣- مشكلات تتعلق بالتناقضات الفكرية:

إنها مشكلات واضحة وضوح الشمس في كبد السماء، فليس هناك توجه فكري يؤمن به اليهود إلا ونجد نقيضا له على الجانب العربي، مما يجعل الصراع قائما ومستعرا ولا يخبو أواره، فإن اليهود يدعون أحقية في أرض فلسطين^{١٣}، بل وفي كل أرجاء وطننا العربي من النيل للفرات وهو الإدعاء الذي يُعنون عندهم بأرض إسرائيل الكاملة، هذا الأمر الذي يشجبه العرب بكل مسمياتهم ومن بينهم عرب إسرائيل أنفسهم، بل ويرونه سلبا للأرض، ونزعا لملكية أصحابها، وادعاء غير صحيح تاريخيا وحضاريا وفكريا.

إدعاء اليهود كذلك بوجود قومية تجمعهم عمادها اليهودية، هو أمر يخالفهم فيه العرب بل وكل من له منطلق وفكر، فالدين عام يشجب القوميات والتكتلات والتعصب والعنصرية، بينما

القومية لها ثلاث أعمدة فقط تتمثل في اللغة والأرض والثقافة المشتركة عبر العصور، فالقومية الواحدة يمكن أن تضم أكثر من دين، وهذا الأمر يعلمه اليهود جيدا وينكرونه جيدا كذلك، فلو كانوا يعتمدون في قوميتهم على الدين اليهودي لما حوت دولتهم على عناصر من كل دين، ولما فرضوا جنسيتهم على العرب مسلميهم ومسيحييهم ودروزهم رغما عنهم ليرسخوا الاحتلال وقيموا أركان الدولة، ولو كانت اليهودية عماد دولتهم وممثلة لقوميتهم لما سعوا سعيهم ليوحدوا للمقيمين على أرضها اللغة التي يتحدثون بها إلى العبرية لتمييزهم دون غيرهم، ولو كانوا يرون الدين هو عماد القومية لما جاهدوا ليهاجروا ويتجمعوا في أرض واحدة طالما دينهم قد وفر لهم التوحد والوحدة على أي أرض وتحت أي سماء، ولما طوروا مناهجا تعليمية توحد فكر اليهود وتشكل لهم وعيا جمعيا يؤيد معلوماهم المغلوطة ليعتمدوا عليها كعنصر يقيم لهم قومية مختلقة لم يكن لها وجود في السابق.

يدعي اليهود كذلك أنهم جماعة خاصة تميز عرقيا عن باقي البشر، وأن لهم جنسا نقييا لم تشبه شائبة اختلاط أو تمازج مع غيرهم من الأمم والشعوب، وهو أمر لا يرفضه العرب وحدهم، بل يرفضه علماء الأجناس في العالم أجمع، أي أن العلم ياباه كما ياباه الفكر السليم، فقد نفى علماء الأجناس نقاء أي جنس بشري على وجه الأرض^٤، ورغم أن اليهود يرفضون ذلك ويقولون بعكسه صلفا وتعنتا، نجد اختلاف ملاحظهم وأشكالهم وألوانهم تعطي الدليل على كذب إدعائهم وبطلان مذهبهم. فاليهودي الألماني واليهودي الإثيوبي واليهودي العربي الذين هاجروا ليقيموا على أرض فلسطين مدعين أنهم ينتمون لعرق واحد هم ليسوا كذلك وصفاتهم الجسدية المتباينة تمثل البرهان الدامغ على كذبهم، كل هذا وغيره من تناقضات فكرية وتوجهات مغايرة جعلت من الصعب بمكان إيجاد نقطة تلاق تجمع بين عرب إسرائيل ويهودها، الأمر الذي يجعل التعامل الذي يجمعهم من باب المناورة وتحقيق المصلحة من قبل الجانبين.

٤- مشكلات سياسية:

لم تكن مشاركة عرب إسرائيل في الحياة السياسية الإسرائيلية مشاركة فعالة، بل كانت محاولة لإثبات التواجد، وحصد الفوائد، وضمان البقاء والقدرة على المواصلة، فقد قال عزمي بشارة

"خلت فلسطين من الفئات البرجوازية الصاعدة والطبقة الوسطى وكبار ملاك الأراضي، فما تبقى هو ريف زراعي متناثر ومُشتت، غير قادر على التواصل في ظل غياب تكنولوجيا الاتصال وغياب سوق واقتصاد عربي، كما أنه كان مقيد الحركة وخاضعاً لحكام عسكريين على مستوى البلدة والناحية والمنطقة. وربما دفعتهم كل تلك الظروف والضغوط إلى مشاركة الاحتلال - في مرحلة مبكرة- في الاقتراع على انتخابات الكنيست عام ١٩٤٩، بعد أن مُنحوا المواطنة الإسرائيلية، وقد شكّلوا في تلك الفترة حوالي ١٢,٤% من المواطنين، وقد ازداد إقبال العرب على الاقتراع في الانتخابات البرلمانية في عام ١٩٥١".^{١٥}

لذا يمكن ببساطة استقراء كون هذه المشاركة السياسية التي أتاحتها الدولة لعرب إسرائيل ما هي إلا محاولة منها لإلحائهم وإقناعهم بأن لهم من الحقوق ما يضارع حقوق غيرهم من المواطنين، وكانت مشاركة العرب في الاقتراع لحماية مصالحهم قدر الإمكان، حتى أنهم كانوا يصوتون للأحزاب التي تقدم لزعمائهم الوعود حتى وإن كانت أكثر الأحزاب تشدداً.^{١٦}

٥- مشكلات أمنية:

يعاني عرب إسرائيل باستمرار من ارتياب السلطات الإسرائيلية، حيث يخضعون للمراقبة الشديدة من قبل جهاز الحكم العسكري والمخابرات العامة، ووصل ذلك إلى حد مراقبة المدارس العربية، وتعيين المعلمين، بل ومراجعة المناهج والتحكم بها.^{١٧}

ومن هنا فإن الحقوق التي تمنحها السلطات الإسرائيلية لعرب إسرائيل حقوق منقوصة لا يمكن أن تطالب لقاءها بواجبات كاملة، كما أن الواجبات التي تطالبهم بها من الصعوبة بمكان تنفيذها بالولاء والانتماء نفسه تجاه محتل ما أراد بهم سوى التنكيل والإبعاد، ومن هنا تتبع إشكالية عرب إسرائيل.

ثانياً: الشخصية العربية في أدب الطفل العبري الحديث عرض موجز

لا يتسع المجال هنا للحديث عن هذه النقطة تفصيلاً، فقد قتلها الكثير بحثاً ودراسة، مما يسمح لي بتقفي أثرهم والوقوف على استنتاجاتهم للوصول لنتيجة تساعدني في تكملة الطريق الذي بدأه غيري، ومعرفة ما التطور الذي آل على صورة الشخصية العربية بعد حرب ٧٣،

وهي الصورة الجديدة التي عرضت بها الكاتبة بطلة روايتها موضوع البحث، وعليه يعرف أدب الطفل:

"أنه مجموعة من الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وأحاسيس وأخيلة تتفق مع مدارك الطفل، وتكون في شكل قصة ومسرحية ومقال وأغنية"^{١٨}، فهو أدب يهدف إلى تبسيط الفكرة إلى أذهان الأطفال بغرض توسيع مداركهم، وغرس بعض المكتسبات في وعيهم، وعليه فقد جمع تناول الأدبي للشخصية العربية في أدب الطفل العبري الحديث بين السلبية والإيجابية، وقد بدأ الطرح الإيجابي لهذه الشخصية بعد حرب ١٩٧٣، في حين نلاحظ تناول هذه الشخصية بسلبية مفرطة قبل هذا التاريخ^{١٩}، ويمكننا من خلال الجدول التالي عقد المقارنة بين وصف الشخصية العربية في أدب الطفل العبري قبل ٧٣ وبعدها:

سمات الشخصية العربية في أدب الطفل

بعد ١٩٧٣

١- بدأ الأدباء في تصحيح هذه النظرة للعربي، بل وتغييرها للنقيض، في محاولة منهم لدفع الطفل للتعايش مع الآخر العربي، بل وتقبله والتعاون معه.

٢- تقديم العربي في صورة من لا يملك الإمكانيات والموارد ويحتاج للمساعدة والعون، وكأنهم يقدمون له التبرير لعدم تطوره مع الزمن.

٣- اعتماد أكثر من نموذج للشخصية العربية، وعدم التقيد بقالب ثابت، وذلك دون تعميم في الشكل أو طريقة

قبل ١٩٧٣

١- يجنح الأدباء إلى تقديم العربي في صورة العدواني الشهواني الممجى الذي تفوح منه رائحة كرهية، في محاولة منهم لدفع الطفل اليهودي لكراهية العربي واحتقاره وعدم التعاطف معه.

٢- تقديم العربي في ثوب المتخلف حضارياً وفكرياً غير المتقبل للتغيير وغير الساعي للتطوير.

٣- وضع الشخصية العربية في قالب واحد نظمي وتعميم هذا النموذج التقليدي على كل الشخصيات العربية في

الأدب. ٢٠

التفكير.

- ٤- سلب حق العربي في الأرض، وإنكار حقوقه، وإدعاء غربته وعدم أحقيته. ٤- النظر إلى العرب باعتبارهم شعب يمكن أن يقيم دولته إلى جانب إسرائيل، والنظر إلى عرب إسرائيل بالذات كشركاء لهم حقوق في المواطنة.
- ٥- وصف العربي بالحيوان المفترس كالثعلب والذئب أو بالحية والأفعى، وذلك إمعانا في إصاق صفات الوحشية به، والابتعاد به عن الصفات الإنسانية.^{٢١} ٥- الابتعاد عن هذا النموذج الوصفي الحيواني، والنظر إلى العربي كإنسان له ماله، وعليه ما عليه.
- ٦- عدم استخدام لفظ فلسطين واستبدالها بلفظة ٧٦٧٦ أي البلد أو الأرض أو إسرائيل، وكذا عدم استخدام اللفظ فلسطيني، بل أحيانا لا يستخدم اللفظ عربي بل يستبدل بلفظ مخرب كمحاولة تعميم صفة التخريب والإرهاب على العرب دون سواهم.
- ٧- دائما يوصف العربي على أنه أقل من اليهودي، وأن اليهودي دائم التفوق في كل مناحي الحياة وأنه نموذج يحتذى في كل سلوك. ٧- بدأ بشكل حثيث لدى بعض الأدباء المنصفين تقديم نموذج جديد أكثر تمدنا للعربي يمكنه أن يصادق اليهودي ويتعاون معه.
- بالنظر إلى التغيير طرأ على وصف الشخصية العربية في السبعينيات وخاصة بعد حرب ٧٣ نجد أن هناك تطورا لا بأس به^{٢٢}، حتى أن من النقاد من اعترف بإيجابية هذا التغيير في التعبير الأدبي، بعد زمان من الخداع الذي تربى عليه النشء اليهودي، إذ يشير الكاتب ب.

ميخائيل، في أحد مقالاته الذي نشر في جريدة «דבר»^{٢٣} يديعوت أحرونوت»، في ٤ فبراير ٢٠٠٥، إلى فكرة كراهية الآخر ووصفه بالعدو، إذ يقول إنه "يتضح مؤخراً أن الأهل والمعلمين قد غرسوا في وعينا خلال سنوات طفولتنا وصبانا معلومات مزورة، وزائفة. ويبدو أن هدف هذه المعلومات هو أن يصلوا في أذهاننا لأسطورة مرارة حياة اليهودي وصعوبتها في الوقت ذاته. فقد ظلمه الطغاة، ونكل به الوحوش، وذبحه القتلة، ونغص عليه الأشرار حياته من خلال القرارات والأحكام الجائرة عبر الأجيال. الآن فقط، وفي هذه الأيام تحديداً؛ بدأ التاريخ اليهودي عملية استشفاء ناحية اللين والتعقل، الاعتدال وعدم المبالغة، والتعديل والتقويم. وأخيراً فقط تم إدراج كل شيء في سياقه التاريخي المناسب والملائم".^{٢٣}

إذا فإن صورة العربي لم تختلف فقط بسبب الحرب ثم السلام مع العرب، ومساعي التطبيع، ولكن بسبب ظهور جيل جديد من هؤلاء الذين ولدوا في إسرائيل، والذين بدت رؤيتهم أكثر اعتدالا من هؤلاء الذي عانوا في أوروبا وحملوا في وعيهم صورة سلبية عن الآخر أثرت سلبا في حكمهم بشكل عام، فجاء هذا الجيل الجديد أقل حدة، وأهدأ بالا، وأكثر قدرة على تصحيح الصورة، كما يبدو أن هذا الجيل قد تبنى مفهوم المصالحة والتعايش التي وجهت فكره، وسارت به في طريق تقبل الآخر ومحاولة فهمه.

إلا أن هناك نقطة فاصلة في هذا الأمر تكمن في أن هذا التعايش مع العرب الذي يسعى خلفه الأدباء اليهود الذين ولدوا في إسرائيل يظهر في شكل علاقة التبعية المضطربة للهوية^{٢٤}، فقد غدا الكتاب الفلسطينيون يكتبون معاناتهم بانتمائهم لعرب إسرائيل باللغة العبرية، مثل الكاتب الفلسطيني سيد قشوع على سبيل المثال لا الحصر، ولعل هذه ظاهرة خطيرة ينبغي الانتباه لها، فبعد أن استوطن اليهود الأرض، يسعون الآن لاستيطان العقول، وذلك بتضييع هويتها، وتغيير مسار توجهاتها، بل ومحو لغة تعبيرها.

المبحث الأول

مضامين رواية "نادية"

إن دراسة موضوع ازدواجية الهوية في الرواية موضوع البحث، والوقوف على محاولات عرب إسرائيل للتكيف مع المجتمع الإسرائيلي لا يتأتى إلا من خلال الوقوف على مضامين الرواية

المعروضة، لمعرفة مظاهر هذه الازدواجية، وتتبع معاناة الشخصيات في الرواية، والتعرف على الجهود المبذولة لتجاوز الأمر الواقع، إما بالصبر عليه وتحمله، وإما بمجاراته ومسائره، وإما بالتمرد عليه ورفضه، ويمكننا الإشارة لعرض موجز للرواية قبل أن ندلف إلى المضامين:

عرض موجز للرواية

بطلة الرواية موضوع البحث كما هو مبين في عنوانها فتاة تدعى نادية، وهي من عرب إسرائيل الذين فرضت عليهم السلطات الإسرائيلية بعد قيام الدولة الجنسية الإسرائيلية، فحملوا هويات إسرائيلية رغم كونهم عرباً ومسلمين في الغالب، فإذا بالبحث الأدبي هنا يغوص في عالم الرواية العبرية ليقترح من خلالها مجال الفتاة العربية وعالمها النفسي والاجتماعي، وكيفية تأقلمها من عدمه في المجتمع الإسرائيلي، وما تعانیه من مشاعر مضطربة، فيجمع بين الدراسة الأدبية والنسوية والتحليل النفسي والاجتماعي في آن واحد.

نادية بطلة الرواية لا يتم التعبير عنها فقط كعنصر نسوي، بل كرمز لشريحة ممثلة في المجتمع الإسرائيلي تعرف بعرب إسرائيل، فتسحب بصفاتها عليهم، وتعبر عن معاناتهم ومشاعرهم، كما تبرز لنا كيفية تعامل المجتمع معهم ومساهمتهم في التخفيف من هذه المعاناة أو زيادتها، فتبرز الصراعات النفسية والاجتماعية بشكل واضح داخل الرواية.

ويبدو لنا مضمون رواية نادية متجلياً في عدد من المحاور:

المحور الأول: إبراز مشاعر التردد والقلق عند العربي

بداية طرحت الأدبية أولى مضامين الرواية من خلال عرض الليلة التي سبقت سفر البطلة نادية للدراسة في مدرسة يهودية داخلية، لتجعل من ستار الليل فرصة لتصوغ لنا مشاعر تلك التلميذة العربية التي ستواجه لأول مرة في حياتها هذا التحدي، بأن تترك قريتها وبيتها وعائلتها وأصدقائها، وأن تضطر لمخالطة اليهود في تلك المدرسة، فنقرأ:

”بغلل הפחד לא הצלחתי להרדם במשך כל הלילה. ניסיתי את כל התנוחות האפשריות, אך לשוא. שכבתי על הגב, שכבתי על הבטן, שכבתי על צד ימין והתהפכתי לצד שמאל. כלום לא עזר. השינה לא באה. מחוגי השעון הזדחלו כמו חלזונות. שתים עשרה ועשר דקות. שתים עשרה ואחת עשרה דקות. שתים עשרה ושתים עשרה דקות, עד שפתאום התחלתי

لحשוב שהבוקר כבר לא יגיע לעולם. הזמן יעצר, ואני אשכב כך לנצח, מחכה לשמש שתזרח.²⁵

"بسبب الخوف لم أنجح في النوم طوال الليل، جريت كل الأوضاع الممكنة ولكن هباء، رقدت على الظهر، وركدت على البطن، ونمت على الجانب الأيمن وتقلبت على الجانب الأيسر، لم يساعدني شيء، النوم لا ينتابني، وعقارب الساعة تزحف مثل السلحفاة، الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق، الساعة الثانية عشرة وإحدى عشرة دقيقة، الساعة الثانية عشرة واثنتا عشرة دقيقة، حتى بدأت أفكر فجأة أن الصباح لن يحل أبدا، سوف يتوقف الزمن، وسوف أظل راقدة هكذا إلى الأبد، انتظر شروق الشمس."

لقد طرد القلق عن نادية شعور النعاس، وجعل دقات الساعة تزعجها، فهي تسير ببطء لتزيد من معاناتها، لقد استشعرت في هذه الحالة شيئا من الجمود الذي يحيط بكل ما حولها، فشروق الشمس، وضيء الصبح أمورا لا تتصور أنها ستعود لتضيء جنبات هذا الليل حالك الظلام، فهي راقدة بلا حراك لا ترقب سوى الظلمة الحالكة.

حتى ما يُعرف في الأدب بالمعادل الموضوعي، ألا وهو استدعاء الأديب أو الأديبة لعناصر من الحيوان أو الجماد أو الطبيعة لتشارك الأبطال حالة المعاناة التي يعيشونها، فتجتمع بينهم تعادلية في المشاعر تهنون من ألم الشخصيات المعذبة، لا نجد الكاتبة قادرة على استخدامه ليحقق النتيجة نفسها هنا، إذ نلاحظ أن كل شيء يحيط بنا نادية لا يقلل مما تشعر به من آلام نفسية، بل يمثل ضغطا أكبر عليها، فالساعة تسير ببطء، والطبيعة تهددها الظلام وتسلب منها الضوء، كذلك حقائبها التي أعدتها تمثل تذكيرا صامتا لها بما هي مقدمة عليه، فنقرأ:

"ليد המיטה שלי ניצבה המזוודה כמו גוש מלבני כהה בחשכת החדר. לא יכולתי שלא לראות אותה. הבטתי בה. רציתי לסלק אותה ממחשבותי, אבל היא נתקעה בעקשנות. כאילו אמרה: לא תצליחי להימלט. אני כאן, מוכנה, הכל ארוז. הכל מסודר. השמש תזרח והלילה יחלוף. מחר את נוסעת. אין אפשרות לסגת. את נוסעת... נוסעת... נוסעת..."²⁶

"وتستقر الحقيبة إلى جوار الفراش ككتلة مستطيلة صماء وسط ظلام الغرفة، لم استطع أن أتجنب النظر إليها، نظرت إليها وحاولت أن أطردها من أفكاري، ولكنها تجلت بعناد، وكأنها

تقول لي: لن توفقي في الفرار، أنا هنا معدة، وكل شيء جاهز، وكل شيء مرتب، وسوف تشرق الشمس ويمر الليل، وسوف تسافرين في الغد، لا مفر سوف تسافرين ... تسافرين ... تسافرين."

حتى حلول النهار الذي تشير إليه هذه الحقيبة يقرب نادية من المصير الذي فرض عليها، ويسارع بتذكيرها بمعاناتها، لقد كانت كل معادلات البطلة الموضوعية والشعورية لا تمثل سلوانا أبدا، فهي لا تتحمل إشاراتهم، ولا تتقبل كل رمز يمثلونه.

ولم يكن الاختلاط باليهود ومحاولة التكيف المفروضة عليها هي وحدها السبب في وجع نادية وقلقها، بل هذا الانفصال المرعب عن مصدر أمانها الممثل في عائلتها كان يسيطر على تفكيرها، ويسلبها سلامها النفسي، فعندما رفعت أختها لطفية الغطاء لتحدث نادية مستفسرة عن سبب قلقها، وعدم قدرتها عن النوم، تضرب الأفكار عقل نادية ثانية إذ نقرأ:

"היא הסירה את השמיכה ובאה למיטה שלי. חשבתני: מאז מלאו לי שלוש שנים אנחנו גרות יחד באותו חדר. יותר מעשר שנים. אף פעם לא נפרדנו זו מזו. גם כשנסעתני מהכפר לחדרה, או לתל אביב, היא נסעה איתי. ואם היא נסעה, נסעתי אני איתה. ²⁷ ופתאום, אני עוזבת אותה והיא נשארת. אני נוסעת והיא לא באה איתי."

"أزاحت الغطاء وجاءت إلى فراشي، فكرت أنه منذ أتممت الثالثة من عمري ونحن نقيم سويا في الغرفة ذاتها، أكثر من عشر سنوات، أبدا لم نفترق عن بعضنا البعض، أيضا حين سافرت من القرية إلى الخضيرة أو إلى تل - أبيب كانت ترافقني، وإن سافرت هي كنت أسافر معها، وفجأة سوف أرحل أنا وتبقى هي، سأسافر ولن تأتي معي."

يتضح مما سبق أن نادية تعاني لأول مرة من فراق أحببتها، لتبقى وحيدة تخالط من هم في عداد الأعداء، فأختها التي اعتادت صحبتها ولم تفارقها أبدا منذ مولدها ستضطر آسفة للافتراق عنها رغما عنها للدراسة، وهي في الفقرة الفائتة لا تكاد تصدق أنها ستسافر دوغما مبتعدة عنها وعن أسرتهما ومصدر أمانها ومنبع الألفة والاطمئنان.

المحور الثاني : إدعاء براءة اليهود من معاناة عرب إسرائيل

لعل السبب الرئيس في اضطراب عرب إسرائيل لإرسال بناتهم وأبنائهم للدراسة في مدارس يهودية هو عدم السماح بإقامة جامعات عربية، وإن كانوا يرغبون في الالتحاق بالجامعة فعليهم

الالتحاق بالجامعات العبرية، التي لا تقبل إلا خريجي المدارس اليهودية، وهذا كما أشرنا آنفاً في تمهيد البحث، إلا أننا نلاحظ أن الأدبية تبرىء ساحة اليهود من أي اتهام لهم بفرض هذا الوضع على عرب إسرائيل، إذ وضعت على لسان التلميذة العربية نادية اعترافاً أرادت هي التأكيد عليه، وزرعه في وجدان قرائها الصغار، وهو أن هذا القرار يكون باختيار العرب وإرادتهم، وأن أحداً لم يفرضه أبداً عليهم، رغم أن هذا يخلو تماماً من الإنصاف، فنجد نادية في الفقرة التالية تلوم نفسها قائلة:

"لמה הייתי צריכה לבחור בדרך זאת? הרי אף אחד לא הכריח אותי. הרי יכולתי להישאר בבית ולהמשיך ללמוד בבית הספר התיכון בכפר. למה לא לקחתי בחשבון הרגשה נוראה זו? למה לא ראיתי אז, כשהחלטתי, את המראות המאיימים האלה שאני רואה עכשיו, בלילה אינסופי זה?"²⁸

"لماذا اضطررت أن اختار هذا الطريق؟ إن أحداً لم يجبرني على ذلك، كان في استطاعتي أن أظل في البيت وأن أواصل الدراسة في المدرسة الثانوية بالقرية، لماذا لم أضع هذا الشعور الرهيب في الاعتبار؟ لماذا لم أبصر ذلك وأنا اتخذ القرار؟ ولماذا لم أبصر تلك الرؤى المفزعة التي أراها الآن ليلاً بشكل لا نهائي؟"

إذا كانت هذه الفقرة قد عبرت عن تنصل الأدبية من أي اتهام يوجه لليهود من أنهم السبب في هذا الوضع المؤلم نفسياً للعرب، فقد أكدت كذلك على الفكرة ذاتها في المحور الفائق من قلق نادية وتوترها، وتحميل نفسها مغبة قرارها المفزع، إلى درجة أن الكوايبس المزعجة كانت تطاردها وتقض مضجعها مراراً وتكراراً، ورداً على ذلك فإن عدم الالتحاق بالمدارس اليهودية يقلل من فرص نادية في الالتحاق بالجامعات، وإن عبارة "لم يجبرني أحد على ذلك" في الفقرة السابقة ينبغي تأويلها بالحرية التي كفلتها أسرة نادية لها في أن تلتحق بما شاء لها من المدارس، وينبغي ألا تستخدمها الكاتبة كذريعة لإدعاء براءة اليهود من فرض الأمر الواقع على عرب إسرائيل.

إمعانا في التأكيد على أن اضطرار نادية للتسجيل في مدرسة يهودية أمرا لا يرجع لفرضية الظروف التي وضعتها السلطات الإسرائيلية في وجه العرب كعراقيل، قصرت الكاتبة على لسان والد نادية المشكلة في الصعوبات اللغوية فقط، إذ نقرأ:

”وأبأ أمر: أت צריכה להמשיך ללמוד בבית ספר יהודי כדי שיהיה לך יותר קל להמשיך באוניברסיטה. ואני חשבתני: אם אוציא תעודת בגרות טובה בבית ספר יהודי לא יהיו לי קשיי שפה, ואז יהיה לי סיכוי הרבה יותר טוב להתקבל ללימודי רפואה. זה היה השיגעון שלי – להיות רופאה.”²⁹

”قال أي: ينبغي عليك أن تواصلتي الدراسة في مدرسة يهودية حتى يكون سهلا عليك مواصلة الدراسة في الجامعة، وأنا فكرت إنني إن حصلت على شهادة تخرج مناسبة من المدرسة اليهودية فلن يكون لدي صعوبات في اللغة، حينها سيكون لدي فرص أكبر وأفضل للقبول في الدراسات الطبية، كان هذا هو شغفي أن أكون طبيبة.”

لم يدر بخلد الكاتبة أن من حق هذه الفئة أن تجد جامعات بلغة تعبيرها، أو ربما علمت وتغافلت عن ذلك، وآثرت أن توضح للأطفال من قراء رواياتها أن المشكلة هي اللغة وليست السياسة المتبعة في عبرة كل شيء حتى لغة العرب.

والأكثر من هذا قد جعلت الكاتبة من قبول العرب في المدارس اليهودية فضلا عميما يتفضل به اليهود عليهم، فضلا ينكرونه هم ويواصلون العدوان على اليهود وقتلهم، فوجدتها في نهاية الرواية تجعل المذبايع يعلن عن وقوع عملية وصفقتها بالإرهابية قام بها العرب ضد اليهود، وتنزع عن هذه العملية صفة الفدائية، وإذا بما تنعت العرب بالمخربين وتجعل اليهود يتعجبون من إنكار العرب لفضل اليهود عليهم، فنقرأ عن رونين أحد زملاء نادية اليهود عندما سمع بالواقعة وهو يناقش أحد مشرفي المدرسة:

”לעזאזל, איך אנחנו מתנהגים. תראה איך אנחנו הולכים לקראתם. נותנים להם לחיות כמו בני אדם. מאפשרים להם ללמוד איתנו. עוזרים להם. ומה יוצא, תגיד לי, מה יוצא?”³⁰

”فليذهبوا للجحيم، ألا ترى كيف نتصرف ونتعامل معهم، فنحن نعطيهم الفرصة ليعيشوا

مثل البشر، نسمح لهم بالتعلم معنا، نساعدهم، وماذا جنينا؟ أخبرني ماذا جنينا؟”

أعتقد أن في هذا تأكيد على أن سلام الكاتبة المزعوم ليس ودا أو تدينا أو حسن معاملة كما يدعون ، إنما هو فرض أوجبه حتمية الموقف، وأمر يضمن لليهود التواجد والاستمرار بلا منغصات، فسرعان ما ندموا عليه عندما لم يجدوا منه جدوى.

إن الكاتبة تصور فئة من العرب في صورة العدواني غير المحب للسلام، وهي نظرة يسحبها اليهود على الأغيار كافة، إلا أن الكاتبة خصصت الحديث هنا عن العرب بالذات كونهم يمثلون كجزء رمزا للأغيار ككل، فاليهودي يرى العربي جارا مزعجا مقلقا للراحة، غير قابل للمزايا التي تعطى لها الحكومة الإسرائيلية، بل يجدون أن من الجحود ألا يقبل عرب إسرائيل بمجرد اعتبارهم مواطنين إسرائيليين، فهذه المنة الغالية التي كانت تحلم بها الكاتبة هي وغيرها من اليهود لا تقابل بالشكر والامتنان من العرب، هؤلاء الذين يرونها سبة أو وصمة عار ستظل مطبوعة فوق الجبين.

إن ادعاء احترام اليهود للعرب الذي يقابل بالجحود ادعاء باطل في حقيقته، فكيف يكون الاحترام من العدو ميزة يتحلى بها الخصم إن لم يكن هذا الاحترام لشخصه، وقيمه ومبادئه، بل وحقه التاريخي في وطنه وأرضه، كيف يكون هذا السلوك احتراما للعرب وهم يلقون إليهم بالفتات، ويطالبونهم بالشكر، وهم ينكرون عليهم جنسيتهم الفلسطينية، ويعطونهم هوية المحتل قهرا، بل ويعتبرون أنفسهم أهل الجود والكرم وحمائم السلام التي ترفرف على رؤوس العرب بهديل السلام المعبر عن أباطيل التعايش السلمي.

المحور الثالث : التأكيد على ضرورة التعايش بين اليهود والعرب

يبدو من خلال هذا المحور في الرواية تغيرا جذريا في الطرح الروائي لصورة العربي في الأدب العربي الحديث بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وتتابعا للفكرة ذاتها في المحور الفأنت، وهي محاولة الأدبية التأكيد على حرية العرب في اختيار المدارس اليهودية لتسجيل أبنائهم بها، والتي من خلاله تحاول أن تخلق نقطة تلاق واتفاق قد تجمع بين العرب واليهود في المجتمع الإسرائيلي، الأمر الذي يؤيد إمكانية التعايش والمصالحة، تصف نادبة صاحبة القرار التي ترتجف من الداخل

وتنكر خوفها وقلقها بالشجاعة الجسورة على لسان أختها لطفية، وهاهي نادية تصف نظرة لطفية لها في الفقرة التالية:

"هيا העריצה אותי על אומץ ליבי. ילדה ערביה כמעט בת ארבע עשרה שמעולם לא עזבה את הכפר שלה ליותר מכמה שעות, נרשמת ללמוד בבית ספר יהודי עם פנימיה. בבית ספר שבו לומדים כמעט רק תלמידים יהודים. בית ספר שבו מקבלים חופשה ונוסעים הביתה רק פעם בשלושה שבועות .³¹"

"كانت تقدرني لجسارتي، فتاة عربية تبلغ ما يقارب الرابعة عشرة من عمرها، ولم تغادر قريتها أبداً لأكثر من بضع ساعات تسجل للدراسة في مدرسة يهودية داخلية، في مدرسة يدرس بها كذلك تلاميذ يهود، في مدرسة لا يحصلون فيها على عطلة ويسافرون إلى بيوتهم سوى مرة واحدة كل ثلاثة أسابيع."

الجسارة حقا تكمن في فعل ما يخشى غيرك فعلة بمنتهى التصميم، ولا تعني الانسحاب رغم المخاطر التي تحفك، والتي تعلمها تمام العلم، هي ألا تستسلم لقلقك وخوفك، ولا تجعلهما المحرك لأفعالك، لذلك تصف لنا الكاتبة الهدوء يعود ليخيم على سماء أفكار نادية عندما تتذكر هدفها الذي وضعته نصب عينيه، فعندما تذكرت شغفها بدراسة الطب خفت صوت آلامها ليحل محله دوي الإصرار والثابرة والتصميم على الوصول لغايتها، مع التغاضي عن كل عقبة، بل ومحاولة تجاوزها، فنقرأ:

"بבת אחת הפסקתי לרעוד. המחשבה על לימודי הרפואה הרגיעה אותי. אם אלמד בבית ספר יהודי ואצליח, יהיה לי הרבה יותר קל. יש לי מטרה. אז למה לי לחשוב על כל הפרטים הקטנים והמשניים? אני אלמד ואצטיין. כל היתר ממני והלאה ."³²

"وفي لحظة واحدة توقفت الرجفة، فالتفكير في دراسة الطب قد هدأ من روعي، فإن درست في مدرسة يهودية فسوف أنجح، وسيكون تحقيق ذلك بالنسبة لي أكثر يسرا، إن لدي هدفا، فلماذا أفكر في كل التفاصيل الصغيرة والثانوية؟ سوف أدرس وأتميز، والبقية تأتي لاحقا."

المحور الرابع : التفرقة بين العربي المسالم والعربي غير المسالم

تحاول الكاتبة إرساء قاعدة مفادها أن العرب ليسوا جميعا مخربين، بل منهم المسالم الذي يظهر في صورة نادية وغيرها من الرفاق العرب في المدرسة اليهودية، فنادية بطلة روايتها ترفض

العنف والعدوان، وتعتقد أن ما قام به العرب من عمليات ضد اليهود موجه ضدها كذلك وضد كل من يشجب العنف، ويسعى للعيش في سلام، فتجعلها وهي تحزم أمتعتها لتترك المدرسة اليهودية تلوم مرتكبي عمليات التخريب ضد اليهود، وليس اليهود، إذ نقرأ:

הדמעות חנקו את גרוני. שנאתי את המחבלים שירו ברחוב יפו. למה היו צריכים לעשות את זה. למה היו צריכים לעשות לי את זה? הרי הכל הסתדר כל כך יפה. כל כך חלק. הלימודים. היחסים עם החברה. אפילו המתח שהיה בין רונן לבני נרגע. ודווקא עכשיו, הם. כאילו נגדי. כאילו לא לקחו בחשבון שהם עלולים לפגוע בי, או כאילו לקחו את זה בחשבון, ולכן עשו מה שעשו. כדי להוציא אותי מ"ארזים". כדי להעניש אותי על שמחלתי על כבודי. כאילו חטאתי בכך שאני מנסה להסתגל אל היהודים והם מענישים אותי על החטא הנורא הזה.³³

"بكيت بشدة حتى كدت اختنق، كرهت كل المخربين الذين أطلقوا النيران في شارع يافا. لماذا كان عليهم فعل ذلك، لماذا عليهم أن يفعلوا بي هذا؟. الوضع كان على ما يرام، وبدون مشكلات، سواء كانت الدراسة أو العلاقات مع الأصدقاء. حتى التوتر الذي كان بيني وبين رونين قد هدأ. لكن بالتأكيد هم ضدي الآن. كأنهم لم يضعوا في الحسبان بأنهم قد يلحقون بي الضرر، أو ربما وضعوا ذلك في حسابهم، ولهذا فعلوا ما فعلوه. لكي يُخرجوني من "أرازيم". لكي يعاقبوني لأنني قد تنازلت عن كرامتي، كأنني أخطأت لأنني أحاول أن أتكيف مع اليهود، فهم الذين يعاقبوني على هذا الخطأ الرهيب."

نلاحظ أن الكاتبة حرصت على وضع لفظة (المخربين) على لسان نادبة لتؤكد على وجود هذه الفئة من العرب الذين يسيئون لغيرهم من المسلمين، بل إن هذه الفئة المسالمة ترفض سلوكهم وتستهجنه كذلك، بل وتعتبر أنه موجه إليها لأنها تهادن اليهود، وتتعامل معهم، بل وتدرس في مدارسهم، الأمر الذي يضعها في موقف الخائنة لوطنها في نظر هذه الفئة المناضلة التي وُصفت بالمخرية في الرواية.

رغم أن مسالمة العربي لليهود نابع في الأساس من تسليم بالأمر الواقع إلا أن الكاتبة حرصت من خلال الفقرة السابقة على الإنكار والمراوغة، إذ جعلت من المناضل مخرباً على لسان نادبة لتنفى عنها عمداً حقيقة عدم تجريم العرب لهذه العمليات الفدائية واعتبارها حق

أصيل في مكافحة المختل الغازي، لتسلخ هذه الشخصية من رداؤها العربي وتلبسها رداء إسرائيليا يردد مزاعمهم حتى تستطيع تقبلها والتعايش معها بردائها الجديد، وليس بالحال التي هي عليه.

كما جعلت الكاتبة بطلتها تلوم في دخيلة نفسها رونين اليهودي الذي استخدم أسلوب التعميم حين حكم على العرب جميعا حكما واحدا، فتوضح وقع كلماته على مسامع نادبة بقولها:

"המלים האלה היכו בי כמו פטיש. הוא מדבר עלי. עלי ועל אמין ועל מוחמד. כאילו אנחנו ירינו באנשים ברחוב יפו. ואם לא ירינו בהם בפועל, כאילו אנחנו מזדהים עם האנשים שירו. כאילו ברור שכאן אנחנו לומדים להיות מחבלים. שבאנו לפנימיה הזאת כדי להכשיר את עצמנו לקראת הדרך הזאת. מאפשרים להם ללמוד איתנו. המלים חזרו והידהדו באוזני מאפשרים להם ללמוד איתנו..."³⁴

"نزلت هذه الكلمات مثل المطرقة على رأسي، فهو يتحدث عني. عني وعن وأمين وعن محمد، وكأننا نطلق النار على الناس في شارع يافا. حتى وإن لم نطلق النار عليهم بالفعل، كما لو كنا نتضامن مع الأشخاص الذين أطلقوا النار. وكأن من الواضح أننا هنا نتعلم كيف نكون مخربين."

كأننا جننا إلى هذه المدرسة لتدريب أنفسنا لنمضي قدماً في هذا الطريق. نسمح لهم بالتعلم معنا، ترددت هذه الكلمات في أذني مرة أخرى، نسمح لهم بالدراسة معنا...

يتلاعب الكتاب اليهود بلفظ المخرب ويصمون به الفلسطينيين الذين يناضلون من أجل استرجاع حقوقهم المسلوبة، دون أن يقابل هذا اللفظ عند اليهود بلقب محتل، وكأن التخريب والاحتلال حكرا على العرب، وكأن اليهود حين قتلوا الأبرياء لم يصبحوا مخربين، وحين احتلوا الأرض لم يصبحوا محتلين، وحين استوطنوا بقاع فلسطين لم يصبحوا مستعمرين، وعلى العرب أن يقبلوا بذلك حتى لا يلوحون في وجوههم بإصبع الاتهام، وينعتونهم بكلمة مخربين، تلك الكلمة التي صاغوها من أجلهم بدلا من كلمة فلسطينيين، أو مناضلين، أو أصحاب البلاد الأصليين، ليكون التحرر من هذه الوصمة بالنسبة للفلسطينيين غاية مأمولة في صراعهم مع

اليهود، ويكون الوصول إلى حلول سلمية تنفي عنهم صفة المخرب هدفاً وغنيمة تضطربهم للتنازل والمهادنة في بعض الأحيان.

لكن الكاتبة هنا تميزت عن غيرها بأن أخرجت من بين فئة المخربين الضالة في مفهومها، فئة أخرى مسالمة، ترجو التصالح والمهادنة والتعايش مع الطرف اليهودي، فئة تعترف لليهود بأن هذا الوطن وطنهم حتى وإن أنكرت هذا في داخلها، كما كانت تؤمن بأن الاحتكاك المباشر والتعامل المستمر بين اليهود والعرب هو الضمان الوحيد للتأثير والتأثر فيما بينهم، وهو الذي سيغير الوضع من وضع عنصري سيء تتمثل كل فئة فيه نموذج معبر عن أفكارها وقناعاتها وتعصبها الفكري، إلى وضع أكثر ليناً حيث سيتمكن كل طرف من فهم الآخر والتعامل معه بإنسانية وليس بعنصرية، وها هي الطيبة العربية التي درست في إحدى المدارس اليهودية تشرح لعزيرة ابنة القرية وصديقة نادية، وكذا لنادية في لقاء جمع ثلاثتهن كيف أن احتكاك نادية باليهود وتعلمها في مدارسهم يعد من الأمور الإيجابية لنبذ الصراع والعنصرية، إذ قرأ:

"هيا תהיה מושפעת מהם، והם יהיו מושפעים ממנה"، אמרה לעזירה. "כל זמן שהמערכת נשארת בין אדם לאדם، אני חושבת שהבעיות הן הרבה יותר קטנות ממה שאנחנו חושבים. רק כשקורה משהו، ופתאום את מפסיקה להיות נאדיה ומתחילה להיות ערביה، והם מפסיקים להיות זהו זה، ומתחילים להיות יהודים ככלל، משתנה המצב לרעה. וכשהוא משתנה לרעה، הוא משתנה משני הצדדים. פתאום גם את לא מרגישה את עצמך רק כמו נאדיה، אלא כמו ערביה. זה לא בא רק מצדם".³⁵

"ضحكت نجلاء، وقالت لعزيرة: "ستتأثر بهم ، وستتأثرون بها". "طالما الاحتكاك بين الإنسان والآخر قائما، أعتقد أن المشكلات ستكون أصغر بكثير مما نعتقد. فقط عندما يحدث شيء ما، فجأة تتوقفين عن كونك نادية وتبدئين في اعتبار نفسك فتاة عربية، وهم يتوقفون عن كونهم فلان وعلان، ويبدأون باعتبار أنفسهم يهوداً بشكل عام، يتغير الوضع إلى الأسوأ. "وعندها يتغير الوضع للأسوأ، فهو يتغير من زاويتان. فجأة أنت أيضاً لا يخاللك الشعور بأنك نادية، بل بكونك فتاة عربية، هذا لا يأتي فقط من جانبهم".

لقد عبرت هذه الفقرة عن أن الوضع الذي يضمن استمرار التعايش والتعامل الودي هو تمثل الجانب الإنساني في أن يكون كل فرد معبراً عن نفسه كإنسان، وليس كعنصر في جماعة،

وكلما تعامل الفرد باعتباره ممثلاً لجماعة ما تبدأ الأمور في التعقيد، وتصبح المواقف أكثر حدة وتعصبا، ومن ثم تسوء الأوضاع.

تراوغ الكاتبة هنا في تمثل الجانب الإنساني للشخصية بصورة أحادية الجانب، فالعملية التي تمت في الرواية ووصفت بالإرهابية هي عملية تمت على يد العرب وكانت موجهة ضد اليهود، متهمة العرب بضرورة تمثل الجانب الإنساني وعدم ترويع الآمنين من اليهود، بينما غضت الكاتبة الطرف تماما في روايتها عن الفظائع التي يرتكبها اليهود في حق العرب باستخدام الجيش المنظم والآلة الحربية، ولم تورد مثلا مقابلا وممثلا لهذه الصورة في روايتها، وكأن البشر الآمنين الذين لا ينبغي ترويعهم هم فقط اليهود، والجانب المقابل عليه أن يختار أحد أمرين، إما أن يواجه فظائع اليهود بالقوة وينعت وقتها بالعدواني المخرب غير الإنساني، أو أن يستسلم لها ويرفض أية محاولة لردع اليهود ومجابهتهم حتى ينعت بالعربي الوديع المسالم.

المحور الخامس : نبذ القوالب النمطية

كان الأدب العربي الحديث في فترة ما قبل سبعينيات القرن المنصرم _ كما ذكرنا آنفا في تمهيد البحث _ تعج بالتعبير السلبي عن الشخصية العربية، وقد تميز هذا التعبير في حصر هذه الشخصية في قالب نمطي تقليدي ثابت، سواء في هيئتها من ملبس وملامح وقسمات، أو في جوهرها من عدم التزام بالطهارة والنظافة الشخصية، أو في سلوكها من تعصب وعدوانية وشهوانية، وعليه نجد الكاتبة تنبذ كل صور التقول والتوقع حول نمط ثابت للشخصية العربية أو حتى الشخصية اليهودية، فليس الجميع متشابهين، وها هي بطلة روايتها العربية نادية تقول واصفة صديقتها عزيزة:

”هيا لبשה مكنسيي اركوكيم كهيم، ومعل المكنسيي شمله بعلة فسيم. شعروتيه هيو مسوركوت لآحور، ولرغليه نعله نعلليي يشنوت. لا نعللي سפורت كمو آله شلوبشوت هبنوت بفنيميه. نعلليي آحروت، مآوددوت وشطوآوت. عربيه. عليه هآ هيو آومرآت شآي آפשר لآعوت به. كآ هآ نرآوت. لآمت كدموت عس هآمآن. وآز هيتة نوريت بوودآي شوآلت: آيآ آت يآوله لهيوت آبره שלה؟“³⁶

"إنها ترتدي بنطالا طويلا داكن اللون، وفوق البنطال فستانا مخططا. مشطت شعرها للخلف، وارتدت حذاء قديما في قدميها، ليس حذاء رياضيا كما ترتدي بنات المدرسة الداخلية، بل حذاء آخر مدبب ومسطح.

فتاة عربية، هكذا كن سيدعوها فلا يمكن أن يخطئونها، هكذا هن يرونا، لا نتقدم حقا مع الزمن، وحينئذ من المؤكد أن نوريت كانت ستسأل: كيف يمكنك أن تكوني صديقتها؟" إن هذا الوصف الذي قدمته نادية لصديقتها عزيزة في الرواية، والذي حوته الفقرة السابقة يتطابق مع صورة الفتاة العربية في أذهان اليهود، فهم كما تقول نادية لا يعتقدون أنها شخصية أنيقة تتطور مع الزمن في انتقاء ملابسها، ولا تهتم بهندامها وهيئتها، وعليه فإن رأى أحدهم عزيزة لتأكد من صحة فكرته، ولترسخ داخله اعتقاده من أن هذه هي صورة الفتاة العربية حقا، وربما كانت إحدى اليهوديات ستسأل بمنتهى العجوبة والعجرفة: كيف تصادقين فتاة كهذه يا نادية؟

بينما تؤكد الكاتبة على عدم صحة مثل هذه القوالب التي تُسجن فيها الأفكار، فإن كانت هناك عزيزة غير المتطورة النمطية، هناك نادية التي تختلف عنها تماما في المظهر والمخبر، فنقرأ تعقيب نادية في الرواية من خلال الفقرة التالية:

"עד היום, בכלל לא שאלתי את עצמי שאלות כאלה. היינו שתי בנות שיש ביניהן הבנה. בכלל לא שמת לב להבדלים. אז מה אם היא לובשת שמלה על מכנסיים, ואני מעזה ללבוש מכנסי ג'ינס? האם הלבוש הוא זה שיוצר את הפער בין אנשים? אבל תמיד, באיזושהי פינה חבויה בלב, ידעתי שזה לא רק הלבוש. עזיזה היא באמת אחרת ממני. הבית שלה הרבה יותר מסורתי מאשר הבית שלי, ואבא שלה רואה את העולם לגמרי אחרת מאבא שלי. את האדמות שלו הוא ממשיך לעבד בשיטות הישנות. לא מנסה להתקדם. לא מחפש חידושים. מדוע להכפיל אתה תוצרות, אם מה שהוא מוציא מהאדמה מספק אותו? מדוע להכניס מיכון לחקלאות? האם עלינו לחקות את כל מה שהיהודים עושים? הוא שואל."³⁷

"حتى يومنا هذا، لم أسأل نفسي مطلقاً مثل هذه الأسئلة، لقد كنا فتاتان متفاهمتان؛ أبدا لم اهتم للفوارق بيننا . وماذا إذا كانت ترتدي فستاناً على البنطال، بينما أجرؤ أنا على ارتداء بنطال من الجينز؟

هل الملابس هي من تخلق الفجوة بين الأشخاص؟
لكن دائماً، هناك زاوية نخفيها في القلب، كنت أعلم أنه ليس الملابس فحسب. عزيزة مختلفة
عني حقاً. منزلها تقليدي أكثر من منزلي بكثير.
ويرى والدها العالم بشكل مختلف تماماً عن والدي، يواصل زراعة أراضيها بالطرق القديمة. لا
يحاول الماضي قدماً، لا يسعى لإجراء تحديثات. فهو يسأل، لماذا يضاعف الغلة إذا كان ما
يخرجه من الأرض يشبعه؟ لماذا ندخل الميكنة في الزراعة؟ هل علينا أن نحاكي كل ما يفعله
اليهود؟"

إن الثياب والهينة كما توضح الفقرة السابقة ليست محمداً دامغا لجوهر الإنسان، فقد
تفاهمت نادية مع عزيزة رغم اختلاف طريقتيهما في انتقاء الثياب، ولكن الأمر الذي يجعل عزيزة
مختلفة عن نادية ليس ثيابها قدر ما تربت عليه من أفكار، إنها الأفكار التي زرعتها فيها والدها
المختلف عن والد نادية تماماً، فهو رجل لا يطور أفكاره ولا هيبته، ولا يسعى لتطوير أساليب
زراعة أرضه، ولا يبصر تطور العالم من حوله، وهذا الاختلاف يمكن أن ينشأ بين أفراد الشعب
الواحد، فلا يمكن أن نعمم الصفات الفردية على شعب بأكمله، فهذا هو والد نادية الذي
يختلف تمام الاختلاف عن والد عزيزة يهدأ من روع ابنته نادية، ويوضح لها أن ما يقوله والد
عزيزة تعميم مححف لا يمكن الاعتماد عليه في اتخاذ أي قرار، فنقرأ في الفقرة التالية:

"כששמע אבא של עזיזה עלי, הוא לא הבין. פשוט לא תפס איך אבא שלי
יכול לשלוח אותי מחוץ לכפר. מי ישמור עלי שם? איזה אב מוציא את הבת
שלו מהבית? מי ערב לו שלא אקבל השפעה מוגזמת מהיהודים? ובכלל,
בשביל מה? מה יצא מזה? איזה בחור ערבי ירצה להתחתן עם משכילה
כמוני? אבא צחק.

"אין לך מה לדאוג" אמר לי כשסיפרתי לו את הדברים שסיפרה לי עזיזה
על אבא שלה, "היום ישנם הרבה ערבים משכילים בארץ, ויש להם מושגים
אחרים.

ואני הצטרפתי לצחוקו: אני באמת לא דואגת", אמרתי.³⁸

"عندما سمع والد عزيزة عني، لم يفهم ولم يدرك كيف استطاع أبي إرسالني خارج القرية. من
سيحافظ علي هناك؟ فأبي هذا الذي يُخرج ابنته من المنزل؟ من يضمن له ألا أتأثر باليهود

بشكل مبالغ فيه ؟ وبشكل عام، من أجل ماذا؟ ماذا سيحدثني من ذلك؟ أي شاب عربي يرغب في الزواج من مثقفة مثلي؟

ضحك والدي، وقال لي عندما أخبرته بالأشياء التي أخبرتني بها عزيزة عن والدها: "لا داعي لقلقك، يوجد اليوم الكثير من العرب المتعلمين في إسرائيل، ولديهم مفاهيم أخرى".
شاركته الضحك أنا الأخرى وقلت: "أنا لست قلقة حقاً"

توضح الفقرة السابقة أن لا داعي للقلق طالما العقل يدرك بشكل أكثر انفتاحاً أن هناك تباين بين البشر، وأن لا حاجة للتطابق حتى تدور الحياة دورتها بلا مشكلات، فقد كان التباين منذ خلق البشر أكثر وروداً من التطابق، وعليه فعلياً تقبل الاختلاف، والتأكد من وجود نماذج أخرى تشبهنا، وعقولاً أخرى تحاكي عقولنا، فقد جبلت الدنيا على التنوع والتعدد في الهينات والصفات والأفكار، وعليه تؤكد الكاتبة على لسان نادية في الفقرة التالية من الرواية أن الاحتكاك والتجربة توسع أفق الإنسان وتصوب حكمه على المواقف والأشخاص، فالحكم المبني على التجربة والخبرة أكثر حنكة من ذلك الحكم المبني على قشور الأمور دون أن يغوص صاحب الحكم في خبايا الأمور وأعماقها، وها هي نادية تدرك ذلك بقولها:

"وهנה לכשיו, לזיזה ואני, זו מול זו. היא חושבת שלא השתנית. אני יודעת שלא השתנית, פרט לדבר אחד. פתאום נעשיתי כאילו מורכבת יותר. מנסה לראות את העולם לא מזוית צרה אחת, אלא משתי זוויות. מעניי שלי, ומענייהן של הבנות היהודיות. והתמונה שאני רואה, מקבלת מימד חדש. כאילו קודם היתה דוממדיה, ובבת אחת צברה עומק."³⁹

"وها أنا وعزيزة نواجه بعضنا البعض الآن. فهي تعتقد أنني لم أتغير، أنا أعرف أنني لم أتغير باستثناء شيء واحد، وهو أنني أصبحت أكثر تعمقاً فجأة. أحاول ألا أرى العالم من زاوية واحدة ضيقة، بل من زاويتين.

وذلك من منظوري ومن منظور الفتيات اليهوديات، والصورة التي أراها، تأخذ بعداً جديداً.
كما لو كانت سطحية في السابق، ثم ازدادت عمقا على حين غرة."

والد نادية كذلك قد وسع أفقه بتعامله مع نماذج مختلفة من اليهود، وأدرك بعد طول احتكاك، وبعد الروية والتأني أن اليهود كذلك ليسوا نمطاً واحداً كما يراهم العرب، فمن بينهم

نماذج يمكن التعامل معها، والارتياح لها، والثقة بها، ومن بينهم غير ذلك مثلهم في ذلك مثل أية جماعة بشرية على وجه الأرض:

"أמר אבא, הם נושאים על גבם זכרונות כבדים שעושים אותם חשדנים. אני מכיר אותם היטב. כמו בכל קבוצה יש ביניהם כאלה וישנם אחרים. ישנם פתוחים וליברלים, וישנם סגורים וקיצוניים. יש לי הרבה חברים יהודים".⁴⁰

"قال أبي: اليهود شعب صعب المراس لديهم ذكريات مريرة تجعلهم مرتابين، أنا أعرفهم جيداً. كما هو الحال في أية طائفة، يوجد بينهم الصالح والطالح. بعضهم متورين وليبراليين، وبعضهم منغلقيين ومتطرفين. لدي العديد من الأصدقاء اليهود"

كما أن الكاتبة تعطي لليهود على لسان والد نادية في الفقرة السابقة مبررات للارتياح في غيرهم من البشر يجعل حكمهم أحياناً خاطئاً، وهذه المبررات تكمن في ذكرياتهم المريرة وما مروا به من أحداث اضطهاد في حياتهم، ونجد نادية تشجب تعميم الحكم مع عدم توافر المعلومات، وتلوم نفسها لأنها وقعت في الخطأ ذاته سابقاً باعتمادها على أحكام مسبقة ورؤى غير صحيحة لا تدعمها التجربة، فتقول في الفقرة اللاحقة:

"המושגים האלה שאנחנו מפתחים לעצמנו. הטעויות שעליהן אנחנו מתרפקים. פירורי אינפורמציה המובילים להכללות כל כך לא נכונות. האם רק נורית ותמי ורון חוטאים בהכללות האלה. האם אני לא טועה אותה טעות ביחס אליהם? האם נורית ותמי הן אלה שמייצגות את הנוער היהודי? האמנם?"⁴¹

"هذه المفاهيم التي نظورها لأنفسنا، والأخطاء التي نستند عليها، وقلة المعلومات التي تؤدي إلي التعميم كلها ليست صحيحة بالمرّة. هل فقط نوريت وتامي وروين اخطأوا بهذا التعميم. ألم أخطئ الخطأ ذاته بالنسبة لهم؟ هل نوريت وتامي تمثلان الشابات اليهوديات حقاً؟"

وبالتالي تصل بالرؤية المستنيرة إلى نتيجة مفادها في الفقرة التالية:

"لראות בעזיזה טיפוס מייצג של נערה ערביה, זה כמו לראות בתמי טיפוס מייצג של נערה יהודיה. וכשם שבניגוד לעזיזה קיימת נאדיה, כך בניגוד לתמי ולנורית קיימות בודאי נערות אחרות שחושבות אחרת ומתנהגות אחרת ומתלבשות אחרת. הרי לא כל הנערות היהודיות לובשות בגיל ארבע עשרה חולצות עם שרוולים קרועים, ולא כל הנערות הערביות

مستتوبوت עם שמלה ומתחת לה מכנסיים ארוכים. העולם הרבה יותר מורכב. בני האדם כשם שהם דומים זה לזה, כך הם גם שונים זה מזה, וההכללות עושות להם עוול.⁴²

" رؤייה עזיזה כנמודג יمثل الفتاة العربية، مطابق لرؤية تامي كنمودج يمثل الفتاة اليهودية. وعلى النقيض مثلما توجد عزيزة هناك نادية، وعلى النقيض أيضا لتامي ونوريت هناك بالتأكيد فتيات يفكرن ويتصرفن ويلبسن بطريقة مختلفة. فليس كل الفتيات اليهوديات يلبسن في سن الرابعة عشر قمصانا بأكامام ممزقة. وليس كل الفتيات العربيات يتجولن بفساتين أسفلها بناطيل طويلة. العالم أكثر تعقيداً، فكما أن البشر يشبهون بعضهم البعض، فهم كذلك يختلفون عن بعضهم البعض، ففي التعميم إجحاف لهم. "

نأتي للنمط الآخر الذي تم فيه تقييد الشخصية العربية في قالب غير ملائم لها، وقد بني على قلة الخبرة والمعلومات أيضا، فقد كانت ترى نوريت اليهودية أن وجود فتاة عربية معها في الغرفة غير مناسب لاعتقادها أن العرب قدرون تصحبهم روائحهم الكريهة في كل مكان، وهو حكم جانبه الصواب، بل جاء مناقضا تماما للحقيقة، فالعرب على العكس من ذلك يبالغون في نظافتهم الشخصية وفي نظافة بيوتهم، فوالدة نادية وأختها قامتتا بتنظيف أرضيات المنزل بعد الانتهاء من غسيل الصحون كما لم ينظفها أحد من قبل، ولذلك سرحت نادية بفكرها لتتذكر موقف نوريت منها في بداية لقائهما، حين حكمت عليها حكما مسبقا، ووضعها في قالب لا يناسبها:

"ואני חשבתני: האם יודעת נורית איך מקרצפים אצלנו את הרצפה? האם ראתה את זה פעם? נורית שהיתה משוכנעת שהערבים הם מלוכלכים, ואם ערביה גרה איתה באותו חדר, היא בוודאי תתרום תרומה גדולה לליכלוכו..."⁴³

"وفكرتُ أنا: "هل تعلم نوريت كيف يتم تنظيف الأرضية لدينا؟ هل رأيت هذا من قبل؟ نوريت التي كانت مقتنعة بأن العرب قدرون، وإذا كانت هناك فتاة عربية تسكن معها في الغرفة ذاتها، فمن المؤكد أنها ستساهم بشدة في تلطيخها..."

وتقارن نادية بين حكم نوريت المسبق عليها، وبين حكم عزيزة المسبق على اليهوديات بأنهن قدرات كذلك، ومن ثم تعقب قائلة:

"وبكل זאת كובעת عزيזה ببטחון מוחלט שהן מה שהן. למה? האם אין זו דיעה קדומה? האם לא כך בדיוק נהגה נורית כשאמרה שלעריבים יש ריח אחר. שהם מלוכלכים?

הרגשתי מחנק בגרון. אולי בעצם אין שום סיכוי לשנות את הדברים? אולי כך בנוי האדם. נושא בתוכו מטען גדול של דיעות קדומות, וכשמראה העיניים סותר אותן הוא משכנע את עצמו שאינו רואה טוב.⁴⁴"

"وبالرغم من هذا كله، تقول عزيزة بثقة تامة أننا على ما هن عليه، لماذا؟ أليس هذا تحيزاً؟

أليس هذا بالضبط ما فعلته نوريت عندما قالت إن للعرب رائحة مختلفة؟ وأنهم قذرون؟

شعرت باختناق في حلقي، ربما لا توجد طريقة لتغيير الأوضاع؟

ربما هذه هي الطريقة التي جبل عليها الإنسان، حاملاً بداخله قدراً كبيراً من التحيز والحكم

المسبق، وعندما يتعارض تفكيره مع ما يظهر أمام عينيه يقنع نفسه أنه لا يرى جيداً."

وقد حاولت الكاتبة أن توضح كيف تراجعت نوريت عن حكمها المسبق على العرب

بالقدارة حين لمست بنفسها على أرض الواقع نظافة بيت نادية الناصع، فقد اعترفت بخطئها

قائلة لتامي صديقتها في أحد الأركان أثناء زيارتهما لبيت نادية في عطلة المدرسة:

"بצד לחשה נורית לתמי: "בחיי, נורא נקי כאן". "למה שלא יהיה נקי

כאן?" אמרה תמי. נורית משכה בכתפיה. "תארתי לעצמי את הבית לגמרי אחרת", לחשה, "בסך הכל"⁴⁵

"في الركن همست نوريت لتامي: "لم أر في حياتي مكاناً نظيفاً للغاية كهذا المكان."

قالت تامي: "ولماذا لا يكون المكان نظيفاً؟"، هزت نوريت كتفها وهمست، "عامة تحيلت

المنزل بشكل مختلف تماماً"

إن الأفكار التي نسجتها في خيالها عن قذارة العرب نتيجة لحكم غير مبني على المعلومات

ثبت عدم صحتها على أرض الواقع، فقد نجحت الكاتبة هنا في التأكيد على فكرتها وقد

وفقت في إثبات سطحية الأحكام المسبقة، والتأكيد على عدم صحة القوالب النمطية التي

يُصَبُّ فيها الأشخاص في عقولهم الباطن. جواهر البشر ومظاهرهم بلا وعي منهم لما قد يدركه

العقل الواعي ويصوغه عن هؤلاء البشر إن حُكِّم المعطيات والحقائق المشفوعة بالتجارب

والخبرات.

المحور السادس : إبراز الكفاءة اليهودية والكرم العربي الطائي

حاولت الكاتبة عبر روايتها إبراز الصفات الإيجابية عند اليهود والعرب، فقد رأت في هممة اليهود للتطوير والأخذ بالنظريات الحديثة في الزراعة سمة إيجابية تستحق الثناء عليها على لسان العرب، فهي من الأمور التي قد تفيد العرب المهتمين بالزراعة وفلاحة الأرض في تطوير وسائل زراعة أراضيهم، وتحسين أساليبهم، وترك المعدات القديمة إلى الميكنة الزراعية التي تزيد من كثافة المروغات، وتزيد إنتاجية الأرض وخصوبتها، وهذا التعاون الزراعي الذي سينشأ بين العرب واليهود لا يعني تنازل العرب عن هويتهم أو خيانتهم لإخوانهم العرب، وهي تؤكد على ذلك على لسان والد نادية في الفقرة التالية:

"وإلى تحشبي שבדרך שלי אין מכשולים"، אמר אבא, "אף פעם לא דיברתי איתך על כך, אבל ישנם הרבה אנשים בכפר שרואים בי בוגד. שחושבים שאני מגזים. שלא מאמינים שיש סיכוי לידידות כזאת. האנשים האלה יגידו לך שאני מסוגל למכור את נשתי למען הכסף. אבל אני יכול לומר לך, נאדיה, שזה לא הכסף. זה משהו אחר. אני חסיד של ייעול, והיהודים פיתחו חקלאות יעילה מאד. אני חסיד של התקדמות, והם יודעים להתקדם. אני שונא לעמוד במקום. ועם זאת אני שלם עם התרבות שלי. אוהב אותה. אין סדקים בתחושות הערביות שלי".⁴⁶

"قال أبي : لا تتصوري أنه لا توجد عقبات في طريقي، لم أتحدث معك أبداً عن ذلك، لكن هناك العديد من الناس في القرية يروني خائناً. يعتقدون أنني أبالغ. فهم لا يؤمنون بوجود فرصة لمثل هذه الصداقة، سيخبرك هؤلاء الناس أنني قادر على بيع روعي مقابل المال. لكن يمكنني أن أقول لك يا نادية، إنه ليس المال، إنه شيء آخر، أنا نصير الكفاءة، وقد طور اليهود الزراعة بشكل به نفع كبير، أنا نصير التطور، وهم يعرفون كيف يطورون، أنا أمقت الوقوف موقف المتفرج، ومع ذلك فأنا متصالح مع ثقافتني، أعشقها. ولا شك في مشاعري العربية."

نجد في الفقرة السابقة ادعاءً لصفة إيجابية لدى اليهود تكمن في اهتمامهم بالزراعة من خلال التركيز على استخدامهم للميكنة الزراعية، ونخلص من الفقرة إلى أن اليهودي المتطور يمكنه أن يعين العربي في تطوير وسائل الزراعة، رغم ما نعرفه جيداً من أن العرب على طول تاريخهم ارتبطوا بالزراعة، بينما نبذ اليهود على طول تاريخهم الزراعة والاستقرار، وارتبطوا بالحرف التي تدر الربح الوفير كالتجارة والصيرفة، وخاصة تجارة الجواهرات، كما اتسموا نظراً

لتنقلهم وعدم استقرارهم بالتجوال، وهي سمة تتعارض مع الارتباط بالزراعة، حتى أن اليهود حين أرادوا ترسيخ دعائم الاحتلال بعد هجرتهم إلى فلسطين، وكان صعباً عليهم مجابهة العرب في امتهان الزراعة التي ترتبط بالاستقرار بذلت المنظمات الصهيونية جل مساعيها لتهجير يهود اليمن لكوئهم عرباً يمكن أن يقام على أكتافهم فكرة الاستيطان الزراعي، وحدث ذلك بالفعل مع هجرة أعداد كبيرة من يهود اليمن مع موجة الهجرة الأولى إلى فلسطين، وهكذا فإن الصفة الإيجابية التي حاولت الكاتبة إلصاقها باليهود مستعارة كذلك من يهودهم ذوي الأصل العربي، وإن كانت قد وجدت لهم صفة إيجابية أخرى تخصهم وحدهم لما تورعت عن عرضها وإبرازها، ومن العجيب أنها تدعي في الفقرة الفاتئة أنها سمة يهودية ستكون في صالح العرب لمساعدتهم على التطور والإنجاز، رغم أنها حرفة عربية قدمت لهم على طبق من ذهب على يد اليهود ذوي الأصل العربي في تزوير كامل من قبل الكاتبة للتاريخ وثوابته.

تنتقل الكاتبة للتركيز على صفة تراها من أكثر الصفات الإيجابية بروزاً في الشخصية العربية، وهي صفة السخاء والكرم العميم، فتجعل الشخصيات اليهودية في روايتها تنبهر بإكرام العرب لوفادة زائريهم اليهود، فها هي نوريت في الفقرة التالية لا تصدق أن نادية تقبل استضافتهم، وتؤكد على سعادتها بذلك، وتصر على حضورهم على الغداء لتقدم لهم واجب ضيافة أكبر مما تخيلوا، فنقرأ في الفقرة التالية:

"את נורא מנומסת", היא קראה. "זה בסדר", אמרתי. "מותר לך גם להגיד שאת בכלל לא רוצה שנבוא", אמרה. "אני רוצה שתבואו", אמרתי. "או קיי", היא נשמעה מרוצה, "נגיע מתישהו. אל תחכי לנו באופן מיוחד. אם נאחר את האוטובוס נשתדל להגיע בטרמפים".
 "אנחנו נחכה לכם עם ארוחת הצהריים", אמרתי.
 "עזבי!" נורית נשמעה מתנגדת, "אנחנו לא מתכוונים להכביד".
 "לא תכבידו", אמרתי, "אמא שלי תשמח לארח אתכם לארוחת הצהריים".⁴⁷

"صاحت: "أنتِ محترمة للغاية"... قلت: "لا بأس"، قالت: "يمكنك أيضاً أن تقولي لنا أنكِ

لا ترغبين في حضورنا على الإطلاق".

قلتُ: "أريدكم أن تأتوا".

وكانت نوريت تبدو راضية وقالت: "حسنًا، سنصل إليكم في أي وقت، لا تنتظرنا بشكل خاص، سنصل في أي وقت، ولو تأخرت الحافلة سنصل إليك يا نادية سيرًا على الأقدام". قلتُ: "سوف ننتظركم على الغداء".

قالت نوريت: "لا عليك!"، "لا نرغب أن نثقل عليكم".

قلتُ: لن تثقلوا، فوالدي ستسعد باستضافتكم على الغداء".

وعليه تصف تفاصيل الاستضافة، وكيف حرصت نادية على كسر حاجز الحياء والخروج من تواجد زملائها اليهود في البيت، وكيف دعتهم للتنزه في الحديقة، فهي تحرص على راحتهم، وترجو استمتاعهم بالزيارة، فنقرأ:

"نيسيتي لشبور את הקרח. הצעתי להם לצאת לטייל בכפר. אולי רוצים לראות את חממות התות של אבא שלי? אולי הם רוצים לטפס על הגבעה הדרומית להשקיף על הנוף? ואולי סתם לשבת בחוץ? הרי לא מוכרחים להיות דווקא בבית." ⁴⁸

"حاولتُ كسر الحاجز، عرضتُ عليهم التنزه في القرية. ربما يريدون أن يروا شتلات الفراولة الخاصة بأبي؟ ربما يريدون تسلق الهضبة الجنوبية المطلة على المناظر الطبيعية؟ وربما من أجل الجلوس فقط في الخارج؟ فهم غير مجبرون على التواجد في المنزل فحسب".

حتى عندما غضبت نادية من بعض حديث ياريف رقيق نوريت، لم تعلق تعليقًا غاضبًا فقط لأنه ضيفها، فهي تشير بوضوح لحسن استقبال العرب لضيوفهم إلى درجة السماح لهم بحرية الحديث دون إفساد ذلك بجدال غاضب، فهم يجعلون للضيف حرمة لا يمكن انتهاكها، فإن أغضبهم حلموا، وإن تجاوز في حقهم صبروا، وإن أحزهم قبلوا، فقد نزل الضيف مكرما عندهم لا يؤذيه شيء ولا يعكر صفوه أمر، فنقرأ على لسان نادية تروي تجولهم في أرض العذبة الملحقة بالمنزل أثناء الزيارة:

"הראיתי להם את החממות, אבל יריב דווקא לא התפעל. בעיניו הכפר הערבי צריך להישמר כמו שהיה. כאילו אנחנו איזו שמורת טבע המיועדת לתיירים. כמו שמורות האינדיאנים בארצות הברית. ואני התאפקתי לא להשיב לו על כך בכעס. בכל זאת, הם היו אורחים שלי, והייתי חייבת לקבל אותם יפה ולא לפגוע בהם." ⁴⁹

"أريتهم الصوب الزراعية، لكن ياريف في الواقع لم يتحمس لها. فمن وجهة نظره، يجب الحفاظ على القرية العربية كما هي، كما لو كنا نوعاً من المحميات الطبيعية المخصصة للسياح، مثل محميات الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية. وتماكنت نفسي حتى لا أجيبه بغضب. فقد كانوا ضيوفي على الرغم من كل شيء، وكان علي أن أكرم وفادتهم ولا أؤذيهم." جمعت الفقرة التالية بين حاجة العرب لتطور اليهود الملحوظ مع الزمن للاستفادة منه في تطوير وسائلهم، وإلى ذوق العرب وودهم مع ضيوفهم إلى الدرجة التي لا يقبلون معها أن يقابل ذلك بالجحود والكران، ولا بتجاهل حقهم في التطور مع الزمن، فقد أرادت الكاتبة في الغالب التأكيد على ضرورة التعاون من أجل تقديم العون للعرب لمواكبة العصر، فالود لا يكون بالإعجاب بحالهم كحالة ينبغي الاستمتاع بها، بل كبشر ينبغي تقديم العون لهم للنهوض، فأبرزت غضب نادية من ياريف بقولها:

"أבל המשפט הזה שאמר יריב, הוציא אותי מדעתי. כל כך כעסתי שלא יכולתי להמשיך בסיור. הכפר הערבי צריך להשמר כמו שהיה. איזו חוצפה. להם מותר להתקדם עם הזמן. להם מותר להשתכלל. להם מותר לנצל את כל חידושי הטכנולוגיה, והכפר הערבי צריך להשמר כמו שהיה. האם הנער הזה, שנראה כל כך חביב, אינו מבין מה שהוא אומר?⁵⁰ חזרנו הביתה. השולחן כבר היה ערוך."

"لكن تلك الجملة التي قالها ياريف، أخرجتني عن رشدي. كنت غاضبةً جداً لدرجة أنني لم استطع متابعة الجولة، يجب الحفاظ على القرية العربية كما هي. يا لها من وقاحة، يُسمح لهم بالتقدم مع الزمن. يسمح لهم بالتطور. يسمح لهم بالاستفادة من جميع مستحدثات التكنولوجيا، ويجب الحفاظ على القرية العربية كما هي. ألا يفهم هذا الصبي الذي يبدو ودوداً ما الذي يقوله؟"

المحور السابع : تقبل التباين والاختلاف ونبذ النزاع والصراع

حرصت الكاتبة على التأكيد على أن الاختلاف لا يتوقف فقط على الصفات الشخصية والفردية، بل يمتد ليشمل عادات الشعوب وتقاليدها ووسائلها في إدارة الخلافات، وحل المشكلات، فتخلق لنا في روايتها موقفاً يبرز ذلك، فقد درجوا في المدرسة الداخلية اليهودية على إقامة احتفال سنوي يحضره خريجو المدرسة ويقومون فيه أثناء الاحتفال عند حمام السباحة

بخدعة إلقاء المستجدين من الطلاب في حمام السباحة بقصد المزاح والاستمتاع، لتبرز أول سمة خلافية بين العرب واليهود، وهي أن العرب لم يعتادوا تعليم أولادهم السباحة ويقتصر استمتاعهم بالبحر في المصايف على الجلوس على شاطئه، وبالتالي تصبح هذه المزحة اليهودية شبه مميتة للطلاب العرب الذين يتم إلقاءهم في حمام سباحة مع عدم قدرتهم على السباحة، ولولا ملاحظة بعض الطلاب لذلك وإنقاذهم لكانوا قد انتهوا بالموت غرقا، ولذلك أنقذ رونين نادية، ووقدت في غرفتها متعبة إلى أن تعافت، وأنقذ من بعدها أمين الذي كان وضعه أخطر من نادية ونقل إلى المشفى، وحين أرسلوا في طلب والده، دار جدل كبير بينه وبين المدير حول أمرين، الأمر الأول عدم اقتناع المدير أن هناك مشكلة في الأساس طالما أن الأمر لم يكن عن عمد بل مزاحا ولهوا، كما أن حالة أمين تتحسن ولا يوجد خطر على حياته، بينما يرى والد أمين أن هذا استهتار وتقليد غير محبذ كان سيودي بحياة ابنه، والأمر الثاني هو اقتناع والد أمين بجمع الصبية الذين قاموا بذلك في جلسة صلح مع أمين حتى تصفو النفوس مع عدم رضا المدير عن هذا الإجراء واعتباره أمرا مبالغا فيه حول قضية يعتبرها تافهة وبسيطة، وحين حكي رونين ساخرا لزملائه عن اقتراح والد أمين غضبت نادية وغادرت الفصل ساخطة، ونلاحظ من حوارها التالي مع رونين حجم الخلاف والاختلاف، وإمكانية المصالحة وقبول الاختلاف إن فهم القصد:

"نأديها!" كرا، "حكي رגע!" "מה אתה רוצה?" שאלתי בכעס. "אני רוצה שתחכי רגע", אמר רונן.
 עצרתי. בכל זאת הוא היה זה שהציל אותי מטביעה. למרות הלעג שהיה בקולו כשסיפר את השיחה עם אביו של אמין, הייתי חייבת לזכור שעלי לכבד אותו על מה שעשה.
 הוא הגיע אלי. "מה קרה?" שאל, "למה יצאת ככה?"
 נשכתי את שפתי כדי לא להגיד משהו חריף מדי. האמנם אינו מבין מדוע קמתי ויצאתי מהכיתה?
 "יצאתי בגלל הדברים שאמרת", ניסחתי משהו רגוע. "לא היית צריכה להפגע מהדברים שאמרת", אמר רונן. "לא?" התרגזתי. "לא", אמר רונן.
 "אתה לועג למנהגייהם של בני עמי, ואתה רוצה שאני לא אפגע?" שאלתי אותו בכעס, "אם זה היה ההפך, לא היית נפגע?"
 "אני לא פגעת במנהגים של בני עמך", אמר רונן. "אז מה עשית?" שאלתי.

"سيفرتي מה קרה בחדר של דויד", אמר רונן. "זה הכל. ואם את דווקא רוצה לדעת, אז אני באופן אישי חושב שהסולחה שלכם זה מנהג דווקא יפה והגיוני. אני חושב שהמנהג הזה היה פותר הרבה סיכסוכים אצלנו. אני יודע על הרבה מריבות שיכולות להמשך שנים, רק בגלל שלא מחסלים אותן ומתפייסים".
גיחכתי.⁵¹

"نادية" "انتظري لحظة"، سألته وأنا غاضبية: "ماذا تريد؟" قال رونين: "أريد أن تنتظري لحظة".

توقفت. ومع ذلك كان رونين هو الذي أنقذني من الغرق، على الرغم من السخرية التي كانت في صوته حينما حكى الحادثة التي دارت مع والد أمين، كان عليّ أن أتذكر أنه يتوجب احترامه لقاء ما فعل.

وصل إليّ وسأل: "ماذا حدث؟" ولماذا خرجت هكذا؟

عضضت على شفتي كي لا أقول شيئاً حاداً. والأصح هو ألا يفهم لماذا نهضت وخرجت من الفصل.

غادرت بسبب الأمور التي ذكرتها، - صغت رداً هادئاً- قال رونين: "ما كان عليك أن تتضرري من الذي ذكرته"، غضبت وقلت "ما كان عليّ أليس كذلك؟"، قال رونين "لا".
سألته بغضب: "أنت تسخر من عادات شعبي ولا تريدني أن أتضرر؟ ولو حدث العكس، هل كنت ستتأذى؟"، قال رونين: "أنا لم أضر أو أتعرض لعادات شعبك"، فسألته: "إذاً ماذا فعلت؟"

قال رونين: "حكيت ما حدث في غرفة دافيد"، "هذا كل شيء. وإن كنت تريدني أن تعرفني حقاً، حينئذ أنا سوف أخبرك بشكل شخصي أيّ أعتقد أن المصالحة الخاصة بكم هذه عادة جميلة ومنطقية، أنا أعتقد أن هذه العادة قادرة على حل الكثير من الصراعات لدينا. أنا أعرف العديد من الخصومات التي يمكنها أن تستمر لسنوات، فقط بسبب عدم حسمها وعدم التصالح".

حينها ابتسمت.

أوضح الحوار بين نادبة وروين أن هناك مخارج يمكن أن تذيب جليد الخلاف والاختلاف، ومن بينها التعامل الإنساني الراقى في صورة حفظ نادبة لجميل روين الذي قفز في حمام السباحة لإنقاذها من الغرق، وكذا عدم رغبة روين في إغضاب نادبة ومحاوله إرضائها، والتأكيد على أنه لم يقصد الإهانة قدر تعجبه من اقتراح والد أمين لاختلاف العادات والتقاليد بين العرب واليهود، ومن بينها كذلك هذا الاعتراف الودود من قبل روين بأنه ارتاح لهذا الاقتراح الذي يمثل عادة عربية، ويرى أنه اقتراح يمكن أن يحسم الخلافات التي من الممكن أن تستمر لفترة طويلة، هذا الاعتراف الذي جعل نادبة تبتسم لهذا التقدير لإحدى عاداتها العربية.

توضح الفقرة التالية ما تحاول الكاتبة التأكيد عليه من أن الجدل والعصبية يجب ألا يكونا الهدف من وراء أي نقاش، ويجب على كل طرف أن يقدر اختلاف الآخر عنه في عاداته وتقاليده، ويقدر كذلك اندهاش الآخرين من عادات لا تعبر عنهم ولم يعتادوها، فهذا الذي أثار ضحك روين كما تشير الكاتبة على لسانه في الفقرة التالية، فقصده لم يكن السخرية أو التحقير، وإلا لما حرص على الاعتذار والتوضيح:

"הוא תקע את ידיו בכיסי מכנסיו
 "איך שאת רוצה", אמר, "אם את לא רוצה להרחיב את הויכוח, אני לא
 ארחיב אותו. לא רוצה להתווכח בכלל, לא אתווכח אתך בכלל. אני רוצה
 רק שתדעי שלא התכוונתי ללעוג למנהגים שלכם. בכלל לא חשבתי על
 מנהגים באופן כללי. רק נראה לי מוזר שאבא של אמין רוצה התפייסות
 רשמית על מעשה שטות, וזה הצחיק אותי. זה הכל!"⁵²

"وضع يده في جيوب بنطاله وقال: "كما تريدین"، إن كنت لا ترغبين في توسيع أفق النقاش
 فأنا لن أزيد، لا أريد أن أتجادل أبداً، لا أريد الجدل أبداً، أريد فقط ان تعلمي إنني لم أسخر من
 العادات الخاصة بكم، لم أفكر في العادات بشكل عام، فقط بدا الأمر غريباً بالنسبة لي أن
 والد أمين أراد مصالحة رسمية على أمر تافه، وهذا جعلني أضحك. هذا كل شيء!"

وتبرز حدة الخلاف في الفقرة التالية، في استمرار نادبة في عدم تقبل ضحك روين على عاداتها أيا كان قصده، فالكاتبة حاولت أن تلقي الضوء أن للعرب وجهة نظر تخصهم لها وجاقتها عبرت عنها على لسان نادبة، فالآباء العرب أكثر عاطفية وخوفاً على أبنائهم، تطير

عقولهم فوراً عند معرفة أن أبناءهم قد لحق بهم أذى، لذلك كان من الطبيعي أن يثور والد أمين كل هذه الثورة، بينما رونين لم يعرف مثل هذا الشعور لدى والده ربما لأن اليهود أكثر عقلانية وأقل عاطفية، فالاختلاف هو الذي فتح باب الخلاف بينهما، لذا إذا تم إدراك ذلك يمكن تفهم ذلك واستيعابه وتداركه:

"זה כן הצחיק אותנו. אז הוא כן לעג. אז הוא כן חושב שזאת היתה שטות. ילד עמד לטבוע, ובעיניו זו שטות. ילד עמד לטבוע, והוא לא מבין מדוע אבא שלו מתפרץ ככה לחדרו של המנהל. האם ההורים שלו היו מגיבים אחרת? או שמא בכלל לא איכפת להם מה קורה לבנם?"⁵³

"هذا حقاً يضحكه، إذًا هو يسخر. هو يفكر أن ذلك كان أمراً تافهاً، ولد يوشك أن يغرق، ومن وجهة نظره هذا أمر تافه، ولد يوشك أن يغرق، ولا يدرك لماذا والده اقتحم حجرة المدير بهذه الطريقة، هل كان والديه لهم رد آخر؟ أم أنهم لا يهتمون على الإطلاق بما يحدث لابنهم؟"

برز في الفقرة السابقة ما بدا من تغيير واضح تماماً في نظرة الكتاب اليهود للعربي بعد حرب ١٩٧٣م حيث يرد على لسان بطلة الرواية إشارة إلى ما تمتاز به الأسرة العربية من خوف على أبنائها واهتمام زائد بأمورهم ومصالحهم،

جعلت الكاتبة تفكير نادية يقودها إلى إدراك الصواب، والوصول إلى لب الحقيقة، حين أدرك والد أمين الخلاف بين الثقافتين، والاختلاف بين العادات لدى العرب واليهود، وقاده إدراكه لذلك إلى التنازل عن جلسة الصلح التي كان مصراً عليها، لأنه ربما أدرك أن لا طائل من وراء جلسة صلح لا يستوعب كل الأطراف جدواها:

"באותו יום, אחר הצהריים, חזר השקט ל"ארזים". אמין שב ללימודים ואבא שלו נסע לכפר כשהוא מוותר על עניין הסולחה. כל הרוחות נרגעו, ורק אצלי נותר טעם מר מכל הפרשה. זה כנראה יהיה הגורל שלי כאן, חשבתי לעצמי. לספוג מפעם לפעם יחס כזה, מבלי שאף אחד יתכוון לפגוע בי באופן אישי. פשוט מפני שאני באה מתרבות אחרת ויש לי מנהגים אחרים, ומנהגים אחרים לא פעם מעוררים גיחוך."⁵⁴

"وفي اليوم نفسه بعد الظهر، عاد الهدوء إلى أرازيم، عاد أمين إلى دراسته، ووالده سافر إلى القرية متنازلاً عن مسألة جلسة الصلح، وهدأت تلك الرياح، وبقي شعور الحرارة بداخلي من

هذا الموضوع، فكرت مع نفسي بأن هذا سيبدو مصيري هنا، أن أتعرض من وقت لآخر لمثل هذه الأمور وهذا التعامل، دون أن يقصد أي شخص أن يتسبب في ضرر لي بشكل شخصي، لأنه ببساطة جئت من ثقافة أخرى ولدي عادات أخرى، وغالبا قد تثير تلك العادات الضحك."

رغم أن الكاتبة جعلت نادية تحمل في الفقرة السابقة غصة في حلقها من هذا الموقف الذي اعتبرته مهينا، مؤكدة على أن حساسية العرب الزائدة التي أبرزتها سابقا في موقف والد أمين تستوجب ممن أمامهم أن يُبدي أعلى درجات اللباقة والاحترام، إلا أنها أوضحت بجلاء أن الخلاف البارز، وكذا الاختلاف الوارد جدا بين ثقافتين يجب ألا يقودا لصراع أو نزاع بين الطرفين طالما صفت النوايا، وساد الود، وغاب قصد التعمد.

ولكن قبل مغادرة هذا المحور ينبغي التدقيق في أمرين حاولت الكاتبة إبرازهما بين السطور وسط محاولة تبدو لنا لرأب الصدع وتقريب وجهات النظر بين ثقافتين وهما :

١- تعميم فكرة عدم ممارسة العرب للسباحة من خلال عرض نموذجين من الطلاب العرب في المدرسة اليهودية كانا على وشك الغرق عندما ألقى بهما زملاؤهما اليهود في المسيح على سبيل المزاح، رغم أن هذا التعميم يفتقد إلى الإنصاف لأن السباحة والرماية وركوب الخيل من الممارسات الرياضية التي درج العرب على تعليمها لأبنائهم إلا فيما ندر، وفي المقابل عممت فكرة معرفة السباحة على كل اليهود في المدرسة الداخلية بلا استثناء. وفي هذا إجحاف للعرب من قبل الكاتبة.

٢- تصوير اليهودي بالمنقذ للطلاب العرب من الغرق، وإظهاره في صورة الحمل الوديع الذي تأتي نفسه وقوع الضرر بزملائه في صورة الطالب اليهودي رونين الذي أنقذ العربيين أمين ونادية من الغرق في المسيح كشفت لنا بجلاء عن استمرار المبالغة في إصباغ الصفات الإيجابية على الشخصية اليهودية في الأدب العبري الحديث، حيث أن وطأة هذه المبالغة لم تخف، فرغم محاولة الكاتبة لتقبل الآخر لم تبدي في هذا الموقف عزما من جانبها على إفساح المجال لتصوير سلبيات اليهود.

المحور الثامن : نبذ العنصرية والتمييز

لعل أكبر دليل على نبذ الكاتبة للعنصرية والتمييز هو تصوير تامي اليهودية في صورة الغيرة الطائشة، التي قادتها مشاعرها المجنونة إلى حد التجريح في الآخرين ومضايقتهم، فقد جعلتها تشك في وجود علاقة بين نوريت وحبيبها رونين في السابق رغم أن نوريت من بني جلدتها من اليهود، وجعلتها لاحقاً تشك في وجود العلاقة ذاتها بين نادية ورونين، وقد أوضحت في فقرات روايتها كم الإساءة التي ألحقتها بنادية من جراء مخاطبتها خطاباً عنصرياً مشيرة إليها بلفظ فتاة عربية وكأنها سبة ترميها بها، وهي لا تلقي بالا لذلك، لتقدمها لقرائها الصغار في صورة مقبولة غير مستحبة، ليرون هذه الصورة كصورة مستهجنة في التعامل بين البشر، فنقرأ عن خطابها لنادية:

"أما אם חשבת את כל הדברים האלה"، היא המשיכה، "תדעי לך שחיית באשלויות. רונן לא יצא עם ערביה. ולא רק רונן. אף אחד בפנימיה הזאת לא יצא עם ערביה. ואם את רוצה לדעת עוד משהו, אז אני יכולה להגיד לך עוד משהו. אני מתערבת אתך שגם המנהל היה מנסה למנוע את זה".
נשמתי נשימה עמוקה.

"אל תדאגי"، אמרתי לתמי, "גם אצלנו מנסים למנוע דברים כאלה, לא רק אצלכם" וכשאמרתי את הדברים האלה המשיך ליבי לדפוק כמו אני לא יודעת מה. אולי בגלל הבוז שבו ביטאה תמי את המילה "ערביה". כאילו לא מדובר כאן בשני עמים שונים, אלא בעם אחד הנחות מהשני.⁵⁵

"واصلت قائلة: "إذا تخيلت كل تلك الأمور، فلتعلمي أنك تعيشين في الأوهام، رونين لن يخرج مع فتاة عربية، وليس رونين فقط، لا يوجد أي شخص في المدرسة الداخلية يخرج مع فتاة عربية، وإن كنت تريدين أن تعرفي شيئاً ما آخر، أنا أستطيع أن أخبرك بالمزيد، أنا أراهنك أن المدير أيضاً، كان سيحاول منع ذلك".

استنشقت نفساً عميقاً، وقلت لتامي: "لا تقلقي، لدينا أيضاً نحاول منع أمور كهذه، وليس لديكم فقط" وبينما كنت أردد هذا الكلام، استمر قلبي في الخفقان كالسابق دون أن أعرف لماذا، ربما بسبب التهكم الذي لفظت به تامي كلمة "فتاة عربية"، كما لو أن الحديث لا يدور هنا حول شعبين مختلفين، بل حول شعب واحد أدنى من الآخر.

أبرزت الكاتبة في الفقرة السابقة بشاعة سلوك تامي وتهورها، كما أوضحت مقدار الأذى، والألم النفسي الذي ألحقته هذه النظرة العنصرية بناحية، بل وهذا التهكم في نطق كلمة "فتاة عربية"، لتؤكد أن هذا السلوك لا يمكن أبداً أن يخلق نقاط تلاق بين ثقافتين، بل يعمق من مشاعر العدا، فقد أبرزت غضب نادية وحسرتها في الفقرة التالية، هذا بالإضافة لتعارض اتهام تامي لها مع التقاليد العربية التي تربى عليها الفتاة العربية من عدم الاختلاط الزائد مع الصبية، وقد برأت الكاتبة في هذه الفقرة ساحة نادية من العنصرية، وأوضحت كم الألم الذي لحق بها إلى درجة رغبتها في عدم التمازج والاختلاط مع اليهود كافة بناهم وأولادهم، فقد أرادت الكاتبة في الغالب توضيح مغبة العنصرية، وشعور التعالي، وما يخلقه في نفوس الآخرين من شعور بالدونية، والانفصال عن الآخر، وعدم الرغبة في التواصل معه، بل والرغبة في الانعزال عنه، وقد برز ذلك في أفكار نادية التي تقطر ألماً في الفقرة التالية:

"התהלכתי לאורך הגדר של הפנימיה, והרגשתי מיואשת. מה בסך הכל עשיתי? רציתי ללמוד בבית ספר יהודי כדי שאחר כך יהיה לי יותר קל ללמוד באוניברסיטה, זה הכל. לא גזלתי דבר מאיש. לא דחפתי את עצמי למקומות שבהם אני בלתי רצויה. לא התבלטתי. כלום. אז למה כל הדברים הקטנים והפוגעים האלה צריכים להתרחש? למה לא יכולים לעזוב אותי לדפשי?"⁵⁶

"سرت بجوار سور المدرسة، شعرت باليأس، ماذا فعلت لكل هذا؟ أردت أن أتعلم في مدرسة يهودية، كي يصبح من السهل علي فيما بعد الدراسة في الجامعة، هذا كل شيء، لم أسرق شيئاً من أي شخص، لم أزج بنفسي في أماكن أكون فيها غير مرغوبة، لم أميز نفسي مطلقاً، إذاً لماذا تحدث كل هذه الأمور الصغيرة والتي تؤذي؟ لماذا لا يستطيعون أن يتكفوني لحالي؟"

وفي الفقرة التالية تستكمل الكاتبة فكرتها من أن التمييز الذي يتبناه الإنسان متصوراً تميزه لا يقود إلى نتائج إيجابية أبداً، فالتعامل الودي السابق من تامي تجاه نادية، والذي قوى أواصر الصداقة فيما بينهما لفترة قد تلاشى بظهور هذه النعرة العنصرية المتعالية، وحل محله حاجز الشك والريبة، حتى أنه فتح باباً لإعادة تفسير كل السلوكيات الطيبة التي مارستها تامي في

تعاملها مع نادية، بل كل سلوك طيب مارسه غيرها من اليهود تجاه نادية، فقد رأيت في كل هذه السلوكيات مجرد فضول للتعرف على ثقافة أخرى، وتلاشى منها كل شعور إنساني قد ينشأ بين البشر، ويعمق روابط المحبة والإخاء، فإذا بالأفكار السلبية تضرب رأس نادية في الفقرة التالية:

"ניסיתי להבין: למה הם התיידדו איתי כל כך? למה התנדבו רבים כל כך לעזור לנו? האם זו סקרנות? האם זה הצורך ללמוד מקרוב עולם אחר? כמו תיירים שנוסעים לטייל בעולם כדי ללמוד על טיפוסים שונים של בני אדם."⁵⁷

"حاولت أن أفهم: لماذا توددوا وأصبحوا أصدقاء لي لهذه الدرجة؟ لماذا تطوعوا كثيراً لمساعدتنا؟ هل هذا فضول؟ هل كانت ضرورة لدراسة عالم آخر عن قرب؟ مثل السائحين الذين يسافرون للتنزه في العالم كي يتعرفوا على أنواع مختلفة من البشر."

أرادت الكاتبة أن تواصل التأكيد على أن هذا السلوك الذي انتهجته تامي مع نادية مستهجن من الجميع، وأن العنصرية ليست سلوكاً ينسحب على جميع اليهود، بل إنه لا ينطبق على تامي نفسها، فقد خرجت هذه البذاءات من فمها غير غرضاً وقهوراً، ورغبة في إيلاء نادية كما تتألم، فهي عنصرية متعمدة بقصد الإهانة والتحقير إن صح التعبير، ويظهر ذلك من محادثة نوريت معها كما نقرأ:

"נורית הניחה את זרועה על כתפי.
"תשמעיי", אמרה, "את לא צריכה לקחת את תמי כל כך ברצינות. את צריכה להבין אותה. תראי, היא התאהבה בرونן, משהו לא נורמלי. נעשתה חולת אהבה. את מבינה מה זה חולת אהבה?"

משכתי בכתפי.

"לא", אמרתי.

נורית חייכה.

"כשמתאהבים ככה במישהו", הסבירה לי, "נמצאים כל הזמן בלחץ"⁵⁸

"وضعت نوريت ذراعها على كتفي.

قالت لي: "اسمعي"، لا ينبغي عليك أن تأخذي ما تقوله تامي على محمل الجد، عليك أن

تفهميها، اسمعي، هي تحب رونين، بشكل غير طبيعي، أصبحت مريضة بحبه، هل تدركين ما معنى مريضة حب؟".

أمسكت بكتفي

قلت: "لا"

ابتسمت نوريت وشرحت لي بقولها: "حينما نحب شخصا ما بهذا الشكل نصبح طيلة الوقت في ضغط."

فتحت العنصرية التي تحدثت بها تامي باب الخلاف الذي لا يندمل جرحه في النفوس، ولعل ذلك محاولة من الكاتبة لتوضيح بشاعة التمييز وأثره السلبي، فلا زالت نادية تستشعر الألم وتتجرع المهانة، حتى أنه لم يعد في إبريقها بقايا مودة تتذكرها لتامي، فهي تقول:

"رציתי להסביר לה שקשה לי. יכול להיות שתמי באמת קצת פסיכית כמו שנורית אומרת, אבל אני לא יכולה לא לשים לב. כי כשתמי חושדת בי שאני מנסה לקחת לה את רונן, זה לא כמו שהיא חושדת בנורית. חשד בי אינו דומה לחשד בנורית. היא רואה בי ערביה המנסה לפתות בחורים יהודים. היא חושבת שזוהי הסיבה שבגללה באתי ל"ארזים". אבל רונן לא ילך איתי. כי הוא לא ילך עם ערביה. לא ילך עם ערביה."⁵⁹

"أردت أن أوضح لها أنه من الصعب علي ذلك، يمكن أن تكون تامي كما تقول نوريت مجنونة إلى حد ما، لكنني لا أستطيع تجاهل الأمر حينما تشك تامي أنني أحاول أن آخذ رونين منها، وهذا يختلف عن شكها في نوريت، الشك في مختلف عن الشك في نوريت، هي تراني مجرد عربية تحاول إغراء الشبان اليهود. فهي تعتقد أن هذا هو السبب الذي أتى بي إلى أرازيم، لكن رونين لن يسايرني، لأنه لا يخرج مع فتاة عربية، لا يخرج مع فتاة عربية."

كما أن العنصرية التي تعاملت بها تامي مع نادية ألفت بظلالها على كل اليهود صالحهم وطالحهم، وفتحت باب الشك فيهم، والريبة في أفعالهم وردود أفعالهم، حتى أن نادية كانت ترتاب في مشرف المدرسة "أودي" الذي خرج ليواسيها، مجرد كونه يهوديا كتامي، وربما كان يحمل بين حناياه كم العنصرية التي لفظتها تامي في وجهها، وهي التي لم تكن تنتظر منها ذلك بعدما كانت تظنها على النقيض من هذا السلوك، فنقرأ عن هذه المحادثة التي لوثتها الظنون من جراء العنصرية التي لم تسلم نادية من برائتها:

"תמי סיפרה לי בדיוק מה היא אמרה", המשיך, "היא באמת מצטערת. לא עלה בדעתה שכך תפרשי את הדברים שלה. את יודעת, זה פשוט נפלס".

"أني يودعت"، אמרתני. "את מאד סגורה"، אמר אודי, "קשה להגיע אליך".

"ככה אני רגילה"، ניסיתי לחייך, "ואתה באמת לא צריך לדאוג".

אבל אודי בכל זאת ניסה להביא אותי לידי כך שאספר לו מה מעיק עלי. לא סיפרתי. לא חזרתי על הדברים שאמרה לי תמי. לא יודעת למה. פשוט לא הייתי מסוגלת. מה אני יודעת עליו בכלל? האם אני מכירה אותו? האם מישוהו יכול להבטיח לי שהוא שונה ממנה? בתור מדריך עליו להיות שונה. זה קשור בתפקיד. הוא לא ירשה לעצמו לדבר כמוה. אבל בתוכו? האם בתוכו אינו חושב עלי בדיוק באותם מושגים? ערביה. ערביה מכפר במשולש. ערביה שהחליטה להיות משכילה. סתם ערביה אחת.⁶⁰

"واصل الحديث قائلاً: "تامي أخبرتني بما قالت، وهي حقاً حزينة، لم تفكر أنك سوف تفسرين كلامها بهذه الطريقة، أنت تعلمين، إنه مجرد هراء".

قالت: "أعلم ذلك"، قال أودي: "أنت منغلقة جداً على نفسك ومن الصعب الوصول إليك".

حاولت أن ابتسم: "أنا هكذا طبيعية، ولا يجب عليك أن تقلق".

لكن أودي لا يزال يحاول اقناعي بأن أخبره بما يؤرقني، لم أقص عليه، لم أكرر ما قالته تامي لي، لا أعلم لماذا، بكل بساطة لم أكن قادرة، ماذا أعرف عن أودي؟ هل أعرفه؟ هل يؤكد لي شخص ما أنه مختلف عنها؟ بدوره كمعلم يجب أن يكون مختلفاً، هذا مرتبط بدوره ووظيفته، هو لن يسمح لنفسه أن يتحدث مثلها، لكن ماذا عمّا يدور بداخله؟ هل لا يفكر مع نفسه بالمصطلحات ذاتها؟ "فتاة عربية"، عربية من قرية المثلث، عربية قررت أن تنتور، مجرد فتاة عربية.

ظهرت طرف من نوع جديد أُلقي في وجه نادية من قبل رونين الذي كانت تظنه مختلفاً أيضاً، حين ظن فيها أنها تكرهه، بما يحمله هذا ضمناً من إمكانية أن يكون قد حمل في داخله شعور الكراهية تجاهها، فلا يتصور أنها يمكنها أن تراه صديقاً جيداً، أو تحمل نحوه شعوراً إنسانياً طبيعياً بالموودة والألفة والإحاء، حتى أنه وصف نفسه في سياق الحديث بأنه متطرف إلى حد ما، ولوح أمام نادية بورقة ضغطت مهينة تكمن في كونه سيصبح جندياً في الجيش الإسرائيلي ليحاربها

هي وعشيرتها من العرب، بل ويتذاكى متصورا أنها تكذب إن قالت أنها لا تكرهه هو أو غيره من اليهود فنجده يقول:

"את רואה אותי? בעוד ארבע שנים אני אתגייס לצבא. תסתכלי טוב. ואני אחד כזה שמתכוון להתגייס ליחידה מובחרת, הנועזת ביותר. את מבינה את זה? אני אתגייס לאיזושהי סיירת. ומה יקרה אם תפרוץ מלחמה? מה יקרה אז? באיזה צד תהיי? בצד שלי, או בצד השני?"
"עזוב אותי", אמרתי לרון.

"את מפחדת להגיד שאת שונאת אותי בגלל שאני יהודי ובגלל שאני אולי קצת קיצוני, ובגלל הכל" אמר רון.
שתקתי. "אני רוצה שתגידי את זה!" אמר. נשכתי את שפתי.
"אתה יודע מה?" אמרתי, "אני באמת לא מבינה אותך. אם אתה כל כך בטוח שאני שונאת אותך, למה רצית להיות ידיד שלי. למה עשית לי הצגות כאלה? למה העמדת פנים כאילו אתה כל כך אחר. כל כך חביב. כל כך לא קיצוני?"

הוא גיחך.
"לא יודעי", אמר, "אולי בגלל שאת יפה כל כך", ואחר כך תלש גבעול ירוק מבין עליה שיח, ותקע אותו בין שיניו, "אולי בעצם הייתי מת להתחיל איתך"⁶¹

"הלא نظرت إلي؟ خلال أربع سنوات سوف أتجنّد في الجيش، انظري جيّدًا، أنا واحد من الذين ينوون التجنيد في وحدة النخبة، الأقوى على الإطلاق، هل تتفهمين ذلك؟ وماذا لو اندلعت حرباً؟ ماذا سيحدث؟ في أي طرف ستكونين؟ هل في طرفي أو في الطرف الثاني؟
قلت لرونين: "اتركني"

قال رونين: "أنت تخافين أن أقول إنك تكرهيني بسبب أنني يهودي، وربما بسبب أنني متطرف إلى حد ما".

صمتت، فقال: أريد أن تقولي ذلك" ، عضضت على شفتي وقلت: "هل تعلم؟" أنا لا أفهمك، إن كنت متأكدًا من أنني أكرهك لماذا تريد أن تكون صديقًا لي، لماذا قدمت لي هذه العروض؟ لماذا تظاهرت بأنك مختلف تمامًا، وودود للغاية؟ ولست متطرفًا؟

ابتسم رونين وقال: "لا أعرف"، ربما بسبب أنك جميلة جدا، بعد ذلك مزق ساق خضراء من أوراق شجيرة ووضعها بين أسنانه وقال: "ربما في الواقع كنت أموت شوقاً كي أبدأ حديثاً معك"

تؤكد الكاتبة أن عدم الإنسانية والتطرف والعنصرية ضد الآخر تمثل غشاوة تحجب رؤية من يتمثلها، فلا يبصر ودا ولا حبا ولا لطفاً في قلوب الآخرين، فهي مشاعر لا يستطيع العنصري استيعابها، لا يفهم أن القيم الإنسانية تُلزم صاحبها بعدم كراهية الآخر مهما وصلت درجة الخلاف بينهما، فالإنسان وإن كره في أخيه الإنسان سلوكاً أو اختلف معه في توجهاته وعاداته أو خالفه في رأيه ومعتقداته، هذا لا يقوده إلى كراهيته وتعمد إيذائه، فهو يكره الفعل وليس الفاعل، يواجه الفكر بالفكر، والعدوان بالعدوان، ولا يتعمد الإيذاء بل يمتنع، فقد قدمت لنا الكاتبة الفتاة العربية نادية في صورة المثال الإنساني البديع، كما قدمت لنا والدها الذي زرع فيها هذه القيم في صورة إيجابية كذلك، فهو يخالف المجموع الذي يراه خائناً مهين الكرامة متملقاً، بينما هو الإنسان كما يجب أن يكون، يأخذ بالعفو، ويأمر بالعرف، ويعرض عن الجاهلين، وها هي نادية الفتاة التي رباها تؤكد أنها لا تكره، ولا تتحيز، ولا تدهن كذلك، بل تعرف أين تقف، وتبحث لنفسها عن سفينة نجاة وسط واقع مؤلم لا يتقبلها، وهي تحاول مناهضته بسلاح العلم، وها هي تقول:

"وإني نونني شونات اوتام. اني نولدتي كان، بارخ הזאת, אל תוך מצב קיים. המצב הזה אינו טוב, אבל הוא נתון. אבא שלי אומר שהיהודים והערבים כולים בהחלט לחיות ביחד, והוא עצמו מוכיח זאת בקשרים ההדוקים שיש לו עם היהודים. אחרים בכפר טוענים שזה בלתי אפשרי, ונאחזים באותה דוגמה. הנה הוא בעצמו. מתבולל. מנסה להיות כמו יהודי. מטשטש את ההבדלים. מתבטל בפניהם. מחקה אותם. משפיל את כבודו.⁶²"

"وأيضاً أنا لا أكرههم، لقد ولدت هنا في هذه الأرض داخل هذا الوضع القائم. وهذا الوضع ليس جيداً ولكن مفروض عليّ. يقول أبي أن اليهود والعرب يستطيعون بالتأكيد أن يعيشوا سوياً. فهو نفسه أثبت ذلك بعلاقاته الوطيدة مع اليهود، ويزعم الآخرون في القرية أن

هذا مستحيل، متمسكين باعتقادهم نفسه. الفكرة ذاتها بأنه يحاول الاختلاط ، يحاول أن يكون مثل اليهودي، يزيل الفوارق، يتضاءل أمامهم، يحاكيهم، يهين كرامته."

إن المصالحاة والتعايش لا تتأتى إلا بنبذ العنصرية وشعور التمييز وترك كراهية الآخر، بل بتقبله وفهمه ومخاطبة عقله وشعوره وضميره، وهذا على ما يبدو ما أرادت الكاتبة التنويه إليه، وهذا يتعارض مع ما جبلت عليه الشخصية اليهودية في صراعها مع الأغيار مما يوضح تطورا كبيرا في التعبير الأدبي عن العربي بعد حرب ١٩٧٣م برز من خلال هذا المحور في الرواية.

المحور التاسع : تزوير الواقع وقلب الحقائق

رغم ما بدا في العرض السابق للمضامين من إشارات إنسانية، ومحاولة لبث الأفكار الإيجابية في وعي الطفل من قبل كاتبة الرواية، إلا أن الكاتبة عادت وبترت فكرتها الإنسانية تلك بتحريض متعمد حيث صبت جام غضبها على فئة من العرب أطلقت عليهم المخربين، وقدمت مشهدا يبدو لنا كمشهد مخجل لناادية المسالمة الودود التي أساء لها سلوك هذه الفئة الضالة من المخربين العرب، وهنا قدمت الفكرة من طرف واحد لها دون الآخر، وبترتقا من سياقها، إذ خلا حديثها بذلك من الإنصاف والرؤية الكاملة المتكاملة للمشهد النزاعي الإسرائيلي العربي، فبدت لنا العمليات الإرهابية وقتل المدنيين والسلوكيات العنيفة وكأنها حكرا على العرب، فلم تقدم لنا مشهدا موازيا للعدوان الإسرائيلي على القرى العربية وهدمها وترويع سكانها، بل وطردهم وإحلال اليهود محلهم في تغيير ديموغرافي صارخ للبنية السكانية، ولم تعرض لمشهد واحد من قتل مخربيهم من اليهود للمصلين الآمنين المسلمين في المساجد كالحرم الإبراهيمي والمسجد الأقصى اللذان تعرضا لهجمات متكررة من يهود متعصبين راح ضحيتها أعداد غفيرة من الأبرياء العزل الذين لم يقترفوا ذنبا سوى الصلاة في مساجدهم التي أثارت أعصاب هؤلاء المتطرفون وحللت لهم قتل الآخر دون أن يرف لهم جفن، كما لم تقدم صورة واحدة في روايتها لإطلاق الجيش الإسرائيلي للصواريخ على منازل الفلسطينيين العزل وقتل النساء والأطفال بلا تمييز أو ذرة من ضمير، فاقصر عرضها على هذا المشهد المحرض، والذي نقرأ تفاصيله في الفقرة التالية من الرواية:

"ميشهو הביא טרנזיסטור מהחדר, ועכשיו התגודו כולם סביבו ועזבו את רינת. כתבי הרדיו דיווחו פרטים מרחוב יפו בירושלים. הם תארו מה אירע שם. איך אזרח בעל תושיה שהיה ברשותו אקדח פגע באחד המחבלים, ואיך אזרחים אחרים רדפו אחרי שני חבריו. לא יכולתי לקלוט את הדברים. לא הייתי מסוגלת להבין מה קרה שם. רק דבר אחד מילא את ראשי. איך אני חומקת מחדר האוכל הזה, ולא חוזרת לכאן לעולם, ואיך אני עושה זאת מבלי למשוך תשומת לב."⁶³

"أحضر أحدهم ترانزستور من الغرفة، والآن تجمع كل الأشخاص من حوله وغادرت رينات.

ونقل مراسلو الإذاعة تفاصيل من شارع يافا في القدس.

وصفوا ما حدث هناك، وكيف استطاع شخص ذكي كان بحوزته مسدس أن يصيب أحد المخربين، وكيف طارد آخرون رفيقاه. لم استطع استيعاب الكلام. لم استطع فهم ما حدث هناك. شيء واحد فقط سيطر على تفكيري، وهو كيف أخرج من غرفة الطعام تلك، وألا أعود إلى هنا أبداً، وكيف يمكنني فعل ذلك دون لفت الانتباه."

تجدر الإشارة إلى أن السلام من وجهة نظر الكاتبة إذا مشروط بالسيادة الإسرائيلية على فلسطين، وهي بذلك تسخر من رغبة العرب في التحرر، مدعية أن حريتهم لن تحل أبدا ما داموا يهددون حرية إسرائيل وأمنها ووجودها، بل وتركز على نقطة جوهرية ترى فيها حقا مكفولا لليهود دون غيرهم ألا وهي فكرة الشعور بالاضطهاد وبكوتهم أقلية تعاني، فتجعل رونين اليهودي يستشيط غضبا، ولا يتمالك أعصابه حين تقول له نادية أنهم كعرب إسرائيلي يمثلون أقلية وسط اليهود في إسرائيل وهو شعور لن يعرفه هو، إذ نقرأ:

"תודה רבה על המחמאה", אמרתי לרון.

"אני לא מבין למה את צריכה להגיד את זה בבוז כזה", אמר

רון.

"אני חושבת שאם אתה היית במקומי והיו לועגים למנהגים של העם שלך, גם אתה היית מגיב כך", אמרתי, "אבל אתה לא יודע מה מרגישים כשנמצאים במיעוט. כי אתה אף פעם לא עברת את זה".
דברים אלה העלו את חמתו של רון.⁶⁴

"قلت لرونين: "شكراً لك على الإطراء" رد رونين: "أنا لا أفهم لماذا عليك ان تردني بهذا

الازدراء".

قلت: "أعتقد أنك لو كنت مكاني، وكانوا يسخرون من عادات شعبك، كنت سترد أيضا بهذه الطريقة"، "لكنك لا تدرك كيف نشعر حينما نتواجد كأقلية، كما أنك لم تجرب ولا مرة هذا الأمر"، هذا الكلام جعل رونين يستشيط غضباً.

وتقدم لنا الكاتبة سريعاً رداً مطولاً من رونين بعبارات أقل ما يقال فيها أنها إنكار للحق العربي في فلسطين، بل وإدعاء أحقية تاريخية مزورة في أراضيها لليهود، وكأنهم حين قدموا إليها قدموا إلى أرض فضاء لا سكان فيها ولا قاطنين، ويستخف رونين بمعاناة العرب على أيديهم ويقدم عليها معاناة اليهود في بلادهم الأصلية ناعناً إياها بالمنفى، وتتجاسر الكاتبة لتدعي أن هذه الدولة دولتهم بتعبير مرتجف على لسان رونين كما وصفته، وهذا رغم أنه من جيل الصابرا الذين ولدوا في إسرائيل ولم يعيش بالفعل تلك المعاناة التي يدعيها لأجداده، وهذا الاضطهاد الذي يحكى بحماس في وجه نادبة وكأنها كانت سبباً فيه:

"את יודעת מה? קרא, "את מדברת כאילו ליהודים היתה תמיד מדינה. את מדברת כאילו היהודים אף פעם לא היו מיעוט. כאילו אף פעם לא לעגו למנהגים שלהם. את יודעת מה, נאדיה? אני יכול להגיד לך שכל מה שאת עברת ותעברי, לא מתקרב לקרסוליים של מה ששבא וסבתא שלי עברו כשהיו בגולה. לא מתקרב לקרסוליים!" וכשאמר את הדברים האלה, נדמה היה לי שקולו רעד.⁶⁵"

"أتعلمين أنت؟" "أنتِ تتحدثين وكأن اليهود كانت لهم دائماً دولة، تتحدثين وكأن اليهود لم يكونوا ذات مرة أقلية، وكأن لم يسخر أحد من عاداتهم، أتعلمين يا نادبة؟ استطيع أن أخبرك أن كل ما مررت به وستمرين به، لا يقارن بما مر به جدي وجدتي حينما كانوا في المنفى، لا يساوي شيئاً، وحينما ذكر تلك الأمور بدا لي وكأن صوته يرتجف."

والعقل الواعي لقاريء هذه الفقرة لا يستوعب حقاً ما ورد فيها ويقول لسان حاله لما تعد معاناة نادبة وما مرت به، بل ما ستمر به في المستقبل لا يقارن بما مر به اليهود، هل عانى اليهود يوماً من استيطان وإبعاد وتجريم وإنكار كالذي يعانیه الفلسطينيون على أرضهم وتحت سمائهم، وإن كانوا بالفعل قد مروا بذلك في أوطانهم الأصلية التي ينعنونها بالشتات والمنفى، فقد جروا هم على أنفسهم هذه المعاناة حين ادعوا أن أوطانهم تلك ليست أوطانهم ورفضوا

الاندماج في نسيجها المجتمعي وأقاموا في أماكن منعزلة تفصلهم عن غيرهم، وأقاموا بذلك حاجزا من الشك والريبة بينهم وبين شعوب بلادهم، بل وأدعوا تميزا على خلق الله وكأن الله لم يخلق سواهم، وإن خلق غيرهم فقد خلق من هم أحط منزلة وأقل مكانة، بل وبالغوا في أعداد القتلى منهم ووجهوا إعلامهم للتحريض ضد الآخر، أما نادية وغيرها من العرب ماذا فعلوا بالله ليستحقوا هذا المصير؟! لقد أحبوا وطنهم الذي يخبرهم تاريخهم عنه، ولم يكن لهم بمنفى أو شتات، لقد وجدوا أنفسهم بين عشية وضحاها في صراع دائم عليه مع محتل يهودي ينتمي لأكثر من عرق وجنس يدعي أحقيته فيه، بل ومستعمر بريطاني يسلمه لهذا المحتل كصفقة للحفاظ على مصالحه، بل ويستمر أدباء هذا المحتل الغاشم في الخلط والتباكي الغير مبرر على مصير جره اليهود على أنفسهم، ولا ندري حقا ما ذنب العرب فيه .

وفي هذا الطرح الذي أبدته الكاتبة في الاستشهاد السابق من الرواية قد أسقطت معاناة اليهود خارج فلسطين على العرب، إذ بات العربي في الوقت الحالي هو من يجسد الأغيار الذين ينعتهم اليهودي بالصفات السلبية.

المبحث الثاني

البنية الفنية و الأسلوب

بعد تتبع مضامين الرواية والوقوف على توجهات الكاتبة والرسالة التي تحاول توصيلها لقراء أعمارها من فئة الصبية والمراهقين نتجه في هذا الجزء من البحث لدراسة البنية الفنية و الأسلوب للرواية موضوع البحث، وعليه يمكن تقسيمها لمحورين كالتالي:

المحور الأول : البنية الفنية:

أولا: البنية السردية

يدور الحدث حول شخصية راويته التي تمثل دور البطولة في الرواية، ودور الراوي للأحداث، فالرواية بصفتها كافة هي من تحكيها، وكأنها تروي مذكراتها بينما ينصت القارئ

شغوفاً بالإطلاع على مكونات نفسها ودواخل ذاتها، وتبدأ البنية السردية وتنتهي ببداية ونهاية يربطهما خط واحد، ويساعد فيهما الحوار على تصاعد الحدث، وتتطور الرواية إلى مجموعة من الأزمت المتلاحقة التي تكشفها مشاعر نادية البادية أمامنا من خلال الحوار الداخلي والثنائي، ومن خلال الوصف والتصوير والتحليل للمواقف الحياتية التي تمر بها، والذي تكشفه لنا من خلال اضطلاعها بمهمة الراوي، أو من خلال تحاورها مع شخصيات الرواية، فينقسم هذا السرد الروائي إلى أزمت تمثل حكايات صغيرة وحبكة ظاهرة تؤدي لتأزم الحدث، ، ويليه نهاية مفتوحة لا تحمل الحل في طياتها، بل تتركه لخيال القاري، وعليه يمكننا تقسيم عناصر البنية السردية إلى:

١- الربط بين البداية والنهاية

يربط بداية الرواية بنهايتها الخوف نفسه الذي تستشعره البطلة، كان الخوف في البداية نابعا من قلقها من خوض تجربة الدراسة في مدرسة يهودية داخلية، إلا أنها كانت تخفي ذلك عن حوّلها، في محاولة منها للتماسك، فإذا أبصر الآخرون فيها ثباتا ربما أبصرته هي في نفسها وحاولت تصديقه، بل ربما حاولت تمثله وأقنعت نفسها به، وذلك رغم تضارب مشاعرها وحيرتها بين الإقدام على هذه الخطوة الصعبة بهدف تحقيق حلمها أو الانصراف عنها، وفي الفقرة التالية تحكي لنا الكاتبة على لسان نادية ما قالته لأختها التي لاحظت أرقها في الليل وعدم قدرتها على النوم، وكذا الرجفة التي أصابت جسدها، فإذا بما تدعي أن ذلك بسبب البرد الشديد، ثم تخاطب نفسها معلنة عن حقيقة ما تشعر به قائلة :

رציתי להסביר שזה לא בגלל הקור, אבל לא אמרתי. רציתי לומר: אני מפחדת נורא, אבל גם את זה לא אמרתי. כבר דיברנו על נושא זה עשרות פעמים, ובכל פעם הכחשתי את הפחד. לוטפיה תמחה מנין היה לי האומץ לקבל החלטה כל כך קשה, ואני צחקתי. אני כבר לא ילדה קטנה, אמרתי לה. אסתדר כמו שכולם יסתדרו. אסתדר כמו שהבנות היהודיות תסתדרנה.⁶⁶

أردت أن أفسر لها أن ذلك ليس بسبب البرد، ولكنني لم أنطق، وودت أن أقول: إني خائفة بشكل مفرع، ولكن هذا أيضا لم أقله، فقد تحدثنا عن هذا الأمر عشرات المرات، وفي كل مرة

كنت أنكر الخوف ، وكانت لطفية تتعجب من أين واتتني الشجاعة لاتخذ قرارا في غاية الصعوبة، وأنا أضحك وأقول لها لم أعد بعد طفلة صغيرة، سوف أدبر أموري كما يدبرها الجميع، سوف أدبر أموري مثلما تفعل الفتيات اليهوديات."

وكان حلم البطلة بدراسة الطب هو دواء أوجاعها الدائم، ودافعها الأول للمجازفة والتحرك نحو الهدف بكل ما أوتيت من قوة، فلم تتوقف رجفتها، ولم يذهب عنها خوفها إلا بتذكرها للهدف الذي تسعى له:

"بבת אחת הפסקתי לרעוד. המחשבה על לימודי הרפואה הרגיעה אותי. אם אלמד בבית ספר יהודי ואצליח, יהיה לי הרבה יותר קל. יש לי מטרה. אז למה לי לחשוב על כל הפרטים הקטנים והמשניים? אני אלמד ואצטיין. כל היתר ממני והלאה."⁶⁷

"وفي لحظة واحدة توقفت الرجفة، فالتفكير في دراسة الطب قد هدأ من روحي، فإن درست في مدرسة يهودية فسوف أنجح، وسيكون تحقيق ذلك بالنسبة لي أكثر يسرا، إن لدي هدفا، فلماذا أفكر في كل التفاصيل الصغيرة والثانوية؟ سوف أدرس وأتميز، والبقية تأتي لاحقا."

ارتبطت الفقرات الفاتنة لبداية الرواية ارتباطا وثيقا بفقرات النهاية، فالبطلة لا تزال تستشعر أن تواجدها للدراسة في مدرسة يهودية أمرا يجثم على صدرها ويفقدها راحتها وهدونها، فقد تنفست الصعداء بعد أن قررت ترك المدرسة عائدة أدراجها إلى قريتها العربية، كما نجد في الفقرة التالية:

לאורכו של שביל לכיוון השער. נשמתי לרווחה. הנה, עוד כמה צעדים ואני בחוץ. חוזרת אל העולם שלי. חוזרת אל אמא. אל אבא. אל סבא.⁶⁸

"على طول الممر نحو البوابة، تنفست الصعداء، ها هي بضع خطوات أخرى وسأكون في الخارج. سأعود إلى عالمي، سأعود إلى أمي، إلى أبي، إلى جدي."

كما مثلت الفقرة التالية ربطا متعمدا لنهاية الرواية ببدايتها، إذ واجه أودي مشرف المدرسة اليهودي نادية بجمها ليوقف خطواتها المتسارعة نحو الفرار من المدرسة والتخلي عن كل شيء، هذه الكلمات التي ذكرت نادية بطبيبة القرية نجلاء التي حادثتها طويلا طالبة منها عدم الاستسلام والسير نحو تحقيق الحلم، والتي جعلت من نفسها مثالا حيا على الثبات والشجاعة

اللذان قاداها إلى الوصول لتحقيق حلمها في النهاية، فحتى إن كان الطريق ليس ممهدا،
فتحقيق الحلم يستحق الوقوف بعد التعثر للمضي قدما بعزيمة الأشداء لا فرار الجبناء:

"وأت موكنة لوتتر عل الكل؟" هوآ سأل، "لآ لنسوت لهتكبل لللموؤي
رؤوآه بآونلبرسلتآه. لآ لهلوت رؤفآه. لآ لآوزور لكفر كؤل لطفل
بحولل؟ عل الكل لوتتر؟"

همللآه آلهآه آوزلرو آلى آت هرؤفآه سل الكفر. آت השיآه سلنو.
رؤلتي لهؤؤ: آنى آلمؤ بكفر، وبكل زآت آنسه لهتكبل لآونلبرسلتآه،
آبل لآ آمرتي. كل لؤعتل مه آؤؤل لؤؤ. هوآ

لؤؤ شؤم بآونلبرسلتآه لهلو مؤرلآ كمؤ هملقره شآلرعه هلؤ، وآم آل
لل كؤح هلؤ لعلمؤ بهم، مؤؤعه لهلآ لل كؤح لعلمؤ بهم بعهؤ كمه شنل؟
مؤؤعه آؤ لآ آفؤعه. وآم آلننى مؤكنة لعلمؤ مؤل هفلىعوت آلهآ، آلؤ بآمت
آلمؤ رؤفآه بمؤؤلنت لشلآل، بتور عربلآ لشلآل؟⁶⁹

فسأل: "وهل أنت مستعدة للتخلي عن كل شيء؟"، عن قبولك لدراسة الطب في الجامعة،

عن أن تصبحي طبيبة، عن معالجة المرضى في القرية، هل ستتنازلين عن كل شيء؟"

ؤكرتنى تلك الكلمات بمؤؤل طبلبة القرلبة، ؤكرتنى بكآلمنآ. آرؤت أن آقول: بآنى سآؤرس
فل القرلبة، وبالرؤم من ؤلك سآؤول القبول بآلمعة، لكننى لم آقل هؤآ. لآئنى كنت آعرف مه
سلقوله آؤؤل. فهو سلقول أنه آتى فل بآلمعة ستكون هنآ مؤآف مثل تلك اللى آؤؤت
اللؤم، وآؤآ لم لىكن للؤ القوة لتآملها اللؤم، كلف سلكون للؤ القوة لمؤآهتها لؤال عؤة
سنوت؟ وآؤآ لم آكن مستعدة لمؤآهة هؤه الآؤرآر، فكلف سآؤرس الطب آقآ فل ؤؤلة
إسرآلئل، بؤصفى عربلبة إسرآلئلبة؟"

آؤت الكآتبه رؤآلتهآ بعبآرة ترؤؤت فل نفس نآؤلبة بعؤ تركهآ للمؤرسة وآؤآههآ لؤو البؤابة
فل مؤؤولة للفرآر (وآؤآ لم آكن مستعدة لمؤآهة هؤه الآؤرآر، فكلف سآؤرس الطب آقآ فل
ؤؤلة إسرآلئل، بؤصفى عربلبة إسرآلئلبة؟) فقؤ مثلت عبآرة آؤتآم تلك طرآ قؤولآ لقؤبلبة قؤرة
عرب إسرآلئل على التعللش فل المآؤمع الإسرآلئلل، وتفقلرآ لقؤبلبة من القؤبآلآ هملهمة اللى آؤؤؤ
سلام إسرآلئل وآمآهآ، وؤهت الأنؤآر إلى أن الألم لىس منؤبآ فقط على عآقق اللهود اللؤلن
لنؤغى عللهم أن لآؤملؤآ رفض العرب لؤؤؤهم، بل لنبؤ كؤلك على عآقق عرب إسرآلئل
اللؤلن لؤؤهون رفض اللهود لؤؤؤهم.

كان هذا أول طرح من كاتبة يهودية يضع العرب في حسابانه كبشر، ويحاول أن يقرب وجهة نظرهم لأذهان اليهود بعقد مقارنة بين ما يعانيه العرب وما يعانيه اليهود، كمحاولة منها للبحث عن حلول^{٧٠}، فأول طريق الحل هو الاعتراف بالمشكلة، حتى وإن اختلفنا معها في وضع معاناة اليهود مع معاناة العرب في وطنهم على قدم المساواة، إلا أنه ينبغي أن نلاحظ هذا التطور في صياغة شخصية العربي في الأدب العربي الحديث بعد ١٩٧٣م حيث بدأ التعامل معها بمنطق مختلف لما كان عليه الوضع في الأعمال العربية الأسبق التي تضعه في منزلة الحيوان، وتصفه بصفات غاية في السلبية والوضاعة.

٢- الحوار كوسيلة لتصاعد الحدث

ينقسم الحوار في الرواية إلى حوار ثنائي أو ديالوج وحوار داخلي أو مونولوج، وقد أبرز الحوار الثنائي في الرواية عددا من الأفكار التي حاولت الكاتبة عرضها منها :

أ- رأي الفتاة العربية في مرتادي المدارس اليهودية

كشف الحوار بين البطلة نادية وبين صديقة طفولتها العربية عزيزة عن مخاوف عزيزة من تقطع أواصر صداقتها بنادية التي قررت الدراسة في مدرسة ثانوية يهودية، معتقدة أن التغيير سيحل بنادية، كما تراه قد حل غيرها من العرب مرتادي المدارس اليهودية، مدعية أن اليهود سيمارسون تأثيرهم في لغة الشخصية العربية، وطبيعة تفكيرها، بل وفي طريقة ارتدائها للثياب:

"كبر שמעתי על ילדים ערבים שלמדו בפנימיה יהודית ובגלל הלימודים האלה וההשפעה שהם קיבלו שם, התרחקו מהכפר ומהבית ומהחברים שלהם", אמרה עזיזה .

"אני חושבת שלי זה לא יקרה", הנחתי את כף ידי על כף ידה כדי להרגיע אותה, "אני חושבת שאפילו אם אהיה רק עם יהודים במשך מאה שנה, לא אשכח מי אני ומאין באתי ."

عزىזה השפילה את מבטה. "יש להם מנהגים לגמרי אחרים," אמרה. "אני יודעת", אמרתי .

"وهبنوت בגיל שלנו בכלל מתלבשות אחרת וחושבות
אחרת", אמרה .

"אל תדאגי", השבתי היא השתעלה. "אני כן דואגת", אמרה.⁷¹

قالت عزيزة: سمعت عن أطفال عرب درسوا بالمدرسة اليهودية الداخلية، وبسبب هذه
الدراسة والتأثير الذي مورس عليهم هناك انفصلوا عن قراهم وبيوتهم وأصدقائهم.
وضعت كفي على كفيها لأهدأ من روعها قائلة: اعتقد إنه بالنسبة لي لن يحدث ذلك، اعتقد
إنني إن بقيت مع اليهود فقط ولو مائة عام فلن أنسى أبدا من أنا ومن أين أتيت؟
خفضت عزيزة بصرها وقالت: لديهم وسائل مختلفة تماما.
قلت: أنا أعرف.

قالت: والبنات في نفس أعمارنا عامة يلبسون بشكل مختلف ويفكرون بشكل مختلف.
أجبت: لا تقلقي.

سعلت ثم قالت: أنا بالفعل قلقة.

وقد كشفت الفقرة الفائتة كذلك عن مدى تشبث نادية بأفكارها، وثقتها بكونها ستظل
على حالها ولو مر مائة عام، لن تنسى قريتها، ولن تنسى لمن تنتمي بأفكارها ومعتقداتها ولغتها.

ب- نظرة الفتيات اليهوديات للعرب

وضحت عدد من الفقرات الحوارية في الرواية أفكارا تدور في خلد الشخصيات، أظهرتها
الكاتبة بشكل حوارى يمكن من خلاله استنباط الأفكار التالية:

أولا: افتقار الفتاة العربية للثقة بالنفس

يظهر ذلك من خلال حوار دار رحاه بين نوريت وتامي الفتاتين اليهوديتين حول رقيقة
غرفتهما العربية نادية:

"מעניין איזו תלמידה היא תהיה", אמרה נורית.

"היא באה לכאן בעיקר כדי ללמוד", אמרה תמי, "אז היא

ודאי תצליח".

"את חושבת שהיא רוצה להצליח כדי להוכיח משהו, דווקא

بغلل שהיא ערביה?" سأله نوريت.
 "لا يودعت"، أمרה تمي، "أبلا ذه برور שהיא تنסה لهיות יותר בסדר
 מכולם כדי שלא יגידו לה על כל דבר שהיא ערביה".
 "את מדברת שטויות"، أمרה نوريت، "אף אחד לא יגיד לה
 דבר כזה".
 "גם אם לא יגידו לה، היא תחשוב שרוצים להגיד ומתאפקים
 ולא אומרים". השיבה תמי.⁷²
 "قالت نوريت: "تري أية تلميذة ستكون؟"

قالت تامي : "لقد جاءت هنا في الأساس لتدرس، فهي بالتأكيد ستنجح."
 سألت نوريت: "هل تظنين أنها تريد أن تنجح لتثبت شيئاً ما، خاصة لكونها عربية؟"
 قالت تامي : "لا أعرف، ولكن من الواضح أنها ستحاول أن تكون أفضل من الجميع حتى
 لا يرجعون كل شيء لكونها عربية."

قالت نوريت : "هراء ما تقولين، فلن يقول لها أحد ذلك ."
 أجابت تامي : حتى وإن لم يقولوا، سوف تعتقد أنهم يريدون أن يقولوا، ولكنهم يتمالكون
 أنفسهم كي لا يفعلوا."

من خلال الفقرة السابقة التي أظهرت لنا تامي وقد وثقت في قدرات نادية على النجاح، إلا
 أن هذا لم يمح من الحوار سمته المنتهم لنادية بالنقص، فنوريت وتامي قد أتفقتا على أن نجاحها في
 الغالب إن تم سيكون محاولة منها لإثبات ذاتها للآخرين، وكأن كونها عربية تعد سبة تجعل
 الجميع يتهمها بالنقص وعدم المقدرة، وعليها بالتالي أن تثبت عكس ذلك لنفسها وللآخرين
 لشعورها الداخلي بعدم الثقة في نفسها وفي مقدرتها، وأن مثابرتها سيكون ذلك دافعها المحرك.

ثانياً: النظر إلى العرب كعبء

تحاول الكاتبة من خلال حوار بين عزيزة وإحدى صديقاتها اليهوديات أن تكشف عن رأي
 تامي في عرب إسرائيل، وما يمثلونه من عبء يقسم ظهر المجتمع الإسرائيلي، ويثقل كاهله،
 خاصة أن أعداد العرب في تزايد مستمر رغم كونهم في البداية أقلية، غير أن هذه الزيادة في
 أعداد المواليد العرب سوف تستنفذ موارد الدولة الاقتصادية:

"بחייד، נאדיה"، היא אמרה، "הרי אנחנו לא מנסות להעמיד פנים. הרי כל העולם יודע שיש לנו בעיה אתכם. הרי כל עם בעולם לא מעוניין שהמיעוטים שלו יתרבו. הרי אתם נטל על הכלכלה שלנו، אז למה את מסתכלת עלי ככה?"

"למה אני מסתכלת עליך ככה، את עוד שואלת?" יצאתי מכליי מרוב כעס. "את לא יודעת? אני מסתכלת עליך ככה כי את מדברת ממש כמו גזענית. ואם לך מותר להיות גזענית כלפינו، איך את יכולה לבוא בטענות לאלה שהיו גזענים כלפיכם?"⁷³

"قالت: "بحقك يا نادية علينا ألا نحاول تجاهل الأمر، العالم كله يعلم أن لدينا مشكلة معكم، فكل شعب في العالم لا يهتم بأن تتزايد أعداد الأقليات لديه، فأنتم عبء على اقتصادنا، والآن لماذا تنظرين إلي هكذا؟"

لم أتمالك نفسي من شدة الغضب، وقلت: "لماذا أنظر إليك هكذا ألا زلت تسألين؟ ألا تعرفين؟ أنا أنظر إليك هكذا لأنك تتحدثين كمتعصبة، وإذا كان مباحا لديك أن تصبחי متعصبة ضدنا، كيف يمكنك أن تدعين أنهم كانوا متعصبين ضدكم؟"

وقد كشف الحوار الفاتت كذلك عن اتهام لتامي بالتعصب لعنصر دون آخر من عناصر المجتمع الإسرائيلي، الذي ربما أرادت الكاتبة أن تظهره وتوجه سهام نقدها له، حيث أوردت على لسان نادية أن تعصب تامي ضد العرب واعتبارهم أقلية ينبغي ألا يتساوا في الحقوق مع نظرائهم اليهود من الأغلبية هو تعصب أعمى يسلبها حقها في الغضب من تعصب العرب ضدهم إن وجد، فكيف تنهى عن فعل وتأتي بمثله.

ثالثاً: رفض العرب للصراحة وتقمص دور الوعاظ

لمحت الكاتبة من خلال حوار بين تامي ونادية لسمتين إحداهما سلبية والأخرى إيجابية لدى كل من طرفي الحوار، فقد ظهرت لنا تامي فتاة لا تخجل من البوح بمكونات ذاتها بمنتهى الصراحة والوضوح، ودون مواربة أو كذب، وفي الوقت ذاته ظهرت بوضوح مظاهر التفكك الأسري في حياتها، ومدى انفصالها عن أمها ومقنتها لها ولسلوكلها، أما نادية فقد تجلى من خلال الحوار أنها تربت في أسرة مترابطة، بدت من خلال دفاعها عن صورة الأم، واستهجائها للطريقة التي تحدثت بها تامي عن أمها، ولكنها في الوقت ذاته لم تقدر ظروف تامي و ما عانته، وكذا لم

تقبل صراحتها، وبدت كمن تقمص دور الواعظ في قصة مريرة لم تذوق مرارتها، ولم تعش أحداثها، وقد اتضح ذلك من الحوار التالي:

كيوצתי את עפעפי כאילו ביקשתי לראות אותה יותר טוב. "את רוצה להגיד לי שלא תתחרטי על מה שאמרת על אמא שלך?" שאלתי.

"למה שאתחרט?" אמרה תמי, "זה בדיוק מה שהיא". כמעט הושטתי את ידי כדי לאטום את אוזני. "איך את יכולה לדבר עליה ככה?" שאלתי. "אם היית יודעת איך היא התנהגה אלי ואיזה מלים אמרה לי..." תמי הסתירה את פניה בכפות ידיה, "אם זה היה קורה לך, גם את היית מתנהגת ככה. לא תשכנעי אותי שלא".

"אני מכבדת את ההורים שלי", אמרתי. תמי הסירה את כפות ידיה מפניה.

"תעשי טובה ואל תחנכי אותי", אמרה, "לא סיפרתי לך על עצמי כדי לשמוע הטפות מוסר"...

"אני מצטערת", אמרתי.⁷⁴

"קטבת حاجי וכאני أحاول أن أراها بصورة أكثر وضوحاً.

سألت: "هل تريد أن تقولي لي أنك لا تندمين على ما قلتيه عن أمك؟"

قلت تامي: "لماذا سأندم هذا بالضبط ما حدث."

تقريباً مددت ידי لأصم أذني، وسألت: "كيف استطعت أن تقولي عليها ذلك؟"

غطت تامي وجهها بكلتا يديها، وقالت: "إذا كنت تعرفين كيف تصرفت معي، وأية كلمات قالته لي، بل إذا حدث هذا لك لكنت أنت أيضاً تصرفت بالطريقة نفسها، لا تحاولي إقناعي أن هذا لن يحدث."

قلت: "أنا احترم والدي."

رفعت تامي كلتا يديها عن وجهها وقالت: "أسدي لي صنيعاً ولا تهديني، لم أحك لك عن نفسي لاستمع إلى العظات."

قلت: أنا آسفة."

ج - ارتباط العرب بأسرهم وتقدير جميل فعلهم

رسمت الكاتبة صورة للحياة الأسرية للفتاة العربية نادية برزت لنا من خلال الحوار في الرواية، فهي فتاة شديدة الارتباط بوالدها الذي تراه قدوتها، ونبراسها في هذه الحياة، فقد بدا

من خلال تعبيرها عنه في حوار مع إحدى رفيقات غرفتها اليهوديات أنه شخص لين هين غير متشدد، يتقت عمله ويخلص فيه، هو المزارع الواعي المطور، والمسؤول عن أراضي عائلته بما يحمله من روح قيادية، وهو القاريء النهم للكتب المثقف، الذي أحب لابنته أن تدرس وتتعلم وتصل للجامعة، ولم يغلق عليها الأبواب، بل فتح لها الباب على مصراعيه لتختبر الحياة وتجرب وتتطور مع الزمن، وسمح لها أن تحلم، وأن تسعى لتحقيق الحلم، فنقرأ في الرواية عن حديثها المقدر لجميل أبيها ولتشجيعه لها في الفقرة التالية:

أبأ שלי כמו שראית, אינו שייך לשמרנים שבכפר. עובד קשה. הוא הראשון שהכניס לכפר שלנו חממות לגידול תות. ויש לנו גם שטחים גדולים. הוא מטפל בחקלאות של המשפחה, אבל כשיש לו זמן הוא קורא הרבה. הוא עודד אותי לצאת ללימודים מחוץ לכפר. לדעתו גם אנחנו צריכים להתקדם עם הזמן⁷⁵."

" إن أبي كما رأيت، ليس من الأشخاص المتشددین في القرية. فهو يعمل بجد، وكان أول من أدخل الصوبات لزراعة الفراولة في قريتنا. لدينا أيضاً مساحات كبيرة من الأراضي، فهو يعني أيضاً بزراعة أراضي الأسرة، ولكن عندما يتسنى له بعض الوقت يقرأ كثيراً. لقد شجعتني للذهاب إلى المدرسة خارج القرية، ففي رأيه؛ يجب علينا التطور والتقدم مع مرور الوقت "

لم يكن للمونولوج في الرواية دوراً أقل من دور الديالوج فقد عبر الحوار الداخلي عن عدد من الأمور التي أرادت الكاتبة إماتة اللثام عنها، ومن بين هذا المشكلات الخاصة التي يعاني منها عرب إسرائيل، والتي كشف عنها حديث نادية مع نفسها رداً على نوريث التي قصدت أن تنوه عن كونها أكثر وطنية من نادية لأنها يمكنها أن تصبح جندياً في الجيش الإسرائيلي الأمر الذي لا تملك نادية ولا أي فرد من أفراد عائلتها القدرة على القيام به، فنجد نادية تخاطب نوريث في سريرة نفسها قائلة:

ועוד משהו, תדעי לך נורית, אני לא מתביישת בשום דבר. אני לא יודעת מה עבר בראש שלך כשהזכרת את הצבא, אבל אם חשבת שאני מתביישת בזה שאני לא הולכת לצבא, אז גם בענין הצבא את טועה. נכון, אני לומדת אתכם ומחבבת אתכם והכל. נכון, אנחנו אזרחים של מדינת ישראל. אבל אנחנו מיעוט. ולא סתם מיעוט, אלא מיעוט עם בעיות מיוחדות. תארי לעצמך, נורית, אח של אבא שלי, דוד שלי, גר בירדן. כן, ממש בירדן. ואם

تفروץ ملחמה בין ישראל לבין ירדן כמו שכבר קרה בשנת 1967, האם את מתארת לעצמך אותנו נלחמים נגד בני המשפחה שלנו?⁷⁶

"הנאק שיש אחר עליک أن تعرفیه یا نوریت، أنا لست خجلة من أي شيء، ولا أعرف ما دار برأسك عندما ذكرت الجيش، إن كنت تظنين أنني أخجل من عدم انضمامي للجيش، فأنت أيضا مخطئة في موضوع الجيش، أنا حقا أدرس معكم وأتودد إليکم وكل شيء، وحقا أننا مواطنون في دولة إسرائيل، ولكننا نحن الأقلية، ولسنا أية أقلية، بل أقلية لها مشكلات خاصة، تصوري یا نوریت أن أبا والدي أي عمي يقطن في الأردن، حقا في الأردن، وإذا اندلعت حرب بين إسرائيل وبين الأردن مثلما حدث في عام ١٩٦٧، هل كنت تتصورين أننا سنحارب ضد أفراد أسرنا؟"

كما كشف المونولوج عن النضال الذي تخوضه المرأة العربية لتبني نجاحا على المستوى المهني، لا سيما المرأة القروية، وها هي نادية ترد على رفيقتها في الغرفة ردا صامتا تنسجه في عقلها دون أن تنطق ببنت شفة :

رغوة! ال תקבעו עמדה לפני שאתן מבררות אתי מה נכון ומה לא נכון. הרי אתן בכלל לא מבינות. אצלכן זה ברור שהנשים רוצות לעשות קריירה. אצלכן הבעלים מקבלים את זה. אבל אצלנו זה עדיין בחיתולים. רוב הנשים יושבות בבית או יוצאות לעבוד בשדה. וכשאשה ערביה, במיוחד אחת שגדלה בכפר ולא בעיר, מחליטה לבנות לעצמה קריירה, היא מתחילה מאבק קשה וממושך. בגלל זה אני זקוקה להרבה יותר כוחות. בגלל זה אני חייבת להצליח.⁷⁷

"انتظرا لحظة! لا تتخذا موقفا قبل أن تستفسرا مني ما الصحيح وغير الصحيح، فأنتما لا تدركان بشكل عام، من الطبيعي لديكم أن ترغب النساء في بناء كيان مهني لهن، هنا الأزواج يقبلن بذلك، ولكن لدينا لازال الأمر مستورا، فأغلب النساء تظل في البيوت أو تخرج للعمل في الحقل، وعندما تقرر امرأة عربية _ خاصة من تسكن في القرية وليس في المدينة _ أن تبني لنفسها كيانا مهنيا، فإنها تبدأ في خوض نضال عنيف ومستمر، ومن أجل ذلك أنا في حاجة لدعم شديد جدا، من أجل ذلك ينبغي علي أن أنجح."

بدا كذلك من خلال المونولوج مدى شعور نادية بالغضب من نظرة الفتيات اليهوديات للمجتمع العربي، ومن اتهامها لأفرادها بالمبالغة في التكاثر كالتهمين، وكذا من التعامل مع العرب كظاهرة تستحق الدراسة لا كبشر لهم شعور وتواجد، ولهم حقوق وواجبات، بل ولديهم وجهة نظر جديرة بالمعرفة، فنجدها تعلق في داخلها غاضبة من نبرة تامي في الحديث عن العرب:

"זה ידוע"، אמרה בטון מלומד ומרוחק, "זה ידוע שבכפרים הערבים יש ילודה מוגזמת".

המשפט הזה שאמרה הקפיץ אותי, למרות שלא זזתי ממקומי. הוא הקפיץ את הלב שלי. לא רק בגלל שהיא השתמשה במילה מוגזמת! בחיי שלא רק בגלל זה. מה שהרגיז אותי יותר מהמילה הזאת היה הטון המלומד שלה. כאילו אנחנו לא בני אדם אלא תופעה שבוחנים אותה מרחוק. כמו שלומדים ביאולוגיה. כמו שלומדים כימיה. ואז פתאום עלה בדעתי שבכלל, כל ההתעניינות הזאת של תמי בי איננה התעניינות בי כאדם אלא בי כתופעה. כאילו באמצעותי היא תוכל ללמוד משהו על הערבים בישראל. תוכל להגיד: כן, אני מכירה ערבים. למדתי עם אחת ב"ארזים"⁷⁸.

"وقالت بنبرة الباحثة بعيدة النظر: "هذا معلوم، معلوم أن هناك تكاثر مبالغ فيه في القرى العربية.

هذه الجملة التي قالتها جعلتني أقفز رغم أنني لم أتحرك من مكاني، جعلت قلبي يقفز، ليس فقط لأنها استخدمت اللفظ (مبالغ فيه)، ليس فقط من أجل ذلك، ما أغضبني أكثر من هذا اللفظ هو استخدامها لنبرة الباحثة، وكأننا لسنا بشرا بل ظاهرة يلاحظونها من بعيد، كما يدرسون الأحياء والكيمياء، وفجأة دار في خاطري أن كل هذا الاهتمام لتامي بي، ليس اهتماما بي كإنسان، ولكن كظاهرة، وكأنها من خلالي تستطيع أن تتعلم شيئا ما عن العرب في إسرائيل، وتستطيع أن تقول: أجل أنا أعرف عربا، قد درست مع فتاة عربية في أرازم."

٣- الحكمة والحدث

تنقسم الحكمة في الرواية إلى عدة مقدمات تمثل عقد صغيرة متعاقبة تساهم في تصاعد الحدث نحو حبكة الرئيسة التي تمثل قمة التأزم في أحداث الرواية، وتبدأ تلك العقد الصغيرة بالتعبير عن تلك الصراعات الداخلية الخفية في نفوس الشخصيات ودواخلهم، وهي مشاعر غير معلنة وغير بادية في السلوك، ولكنها مؤثرة في النفوس وضاغطة على وتر المشاعر

المتضاربة التي لا ترسو على شاطئ أمان، مثل شعور نادية الدائم بناء على خلفية مسبقة أكتا لن تكون مقبولة وسط هذا المجتمع اليهودي المصغر داخل المدرسة الداخلية اليهودية التي التحقت بها، فها هي تخشى أن تغير تامي رأيها في السكنى معها في الغرفة ذاتها بعد أن تعلن لها السكرتيرة في المدرسة عن هوية نادية العربية، وتكشف لنا الفقرة التالية عن تلك المشاعر:

"كبشتي את פני בכפות ידי. אני יודעת. תיכף היא תחזור הנה ותגיד: תשמעי נאדיה, אני מצטערת, אבל פתאום נזכרתי שישנה משהי אחרת שהבטחנו לה לגור איתנו בחדר. לא יודעת איך זה פרח מזכרוני. אני מקווה שאת סולחת לי. בטח תמצאי בנות אחרות שתשמחנה לגור איתך. לא, זה לא קשור לדברים ששמעתי במזכירות. מה פתאום שזה יהיה קשור ?

או שתגיד: תשמעי נאדיה, אבל יש לנו בעיה עדינה מאד. את מוכרחה להבין. אח של נורית נהרג בהתקפה של מחבלים. לא, אני לא מתכוונת לומר שאת קשורה למחבלים. חס וחלילה. מה פתאום שאגיד דבר כזה. אבל תקחי בחשבון שרק שלושה חודשים עברו מאז. ותחשבי גם על ההורים של נורית. מה הם יגידו אם ישמעו שהיא גרה עם ערביה מהמשולש באותו חדר..."⁷⁹

"غطيت وجهي بكفي، سرعان ما ستعود إلي وتخبرني قائلة: اسمعي يا نادية، لقد تذكرت أن هناك فتاة أخرى قد وعدناها بالبقاء معنا في الغرفة، ولا أعرف كيف غاب هذا عن ذاكرتي، أرجو أن تعذريني، حتما ستجدين فتيات أخريات سيسعدهن بالبقاء معك، كلا هذا لا علاقة له بما سمعته في السكرتارية، وكيف يكون له علاقة بذلك؟

أو تقول: اسمعي يا نادية إن لدينا مشكلة كبيرة جدا، إن أخت نوريت قد قتل بهجوم لمخربين، كلا أنا لا أقصد أن أقول أن لك علاقة بالمخربين لا سمح الله، كيف لي أن أقول شيئا كهذا؟ ولكن ضعي في الاعتبار أن ثلاثة شهور فقط مروا على هذا، وفكري كذلك في والدي نوريت، ماذا سيقولون إذا علموا أن نوريت تقيم مع عربية من المثلث في غرفة واحدة."

هذه العقدة الصغيرة نجحت الكاتبة في تدويرها في إناء من التقبل والعفوية التي تعاملت بها تامي اليهودية مع الموقف، وإبراز كون مخاوف نادية في هذا الشأن مبالغ فيها، حيث حسمت

الموقف في الفقرة التالية منوهة عن انقلاب مشاعر نادبة من القلق إلى الرغبة في البكاء من فرط التأثر من سلوك تامي العفوي الطبيعي:

"هرمתי את עיני. ראיתי את תמי יוצאת מחדר המזכירות. נשמתי עמוק. הנה עכשיו יגיע ההלם. עוד צעד ועוד צעד. כיווצתי את עפעפי כדי להבחין בתווי פניה, אבל ללא הצלחה. עד שהיא ניפנפה לעברי במפתחות וצלקה :

"בואי נאדיה, יש לנו חדר! תפסתי את החדר עם הנוף הכי יפה...!" ואני, לא יודעת למה, הרגשתי מחנק בגרון. בקושי הצלחתי שלא לפרוץ בבכי מרוב התרגשות.⁸⁰

"תهدת בעמק حين رفعت بصري فوجدت تامي وقد خرجت من حجرة السكرتارية، خطوة تلو الأخرى وستحل الكارثة الآن، ضيقت جفني حتى استطيع التركيز في ملامح وجهها، ولكن دون جدوى، حتى لوحت لي هي بمفاتيحها وهي تصبح: "تعالى يا نادبة، لقد أصبح لنا غرفة، لقد اخترت الغرفة ذات أبهى منظر." وأنا لا أعرف لماذا شعرت باحتقان في الحلق، وبصعوبة تمكنت من ألا انفجر في البكاء من فرط التأثر."

ثم تدهمنا عقدة أخرى صغيرة كذلك على الطرف المقابل، فإن كان لنادية خلفيات مسبقة غير صحيحة عن اليهود، فإن للفتيات اليهوديات خلفيات مسبقة غير صحيحة عن العرب وسلوكهم ونظافتهم، ويبدو ذلك في شعور نوريت بالغرابة لاضطرابها مشاركة فتاة عربية في الغرفة ذاتها بناء على رأي مسبق كذلك، كما في الفقرة التالية التي تكشف عن حوارها الغاضب مع تامي التي أوقعتها في هذا الموقف بجعل نادبة شريكة لهما في الغرفة:

"אני יודעת", נורית היססה, "בחייך, תמי, היא באה מכפר ערבי. יש לה בטח מנהגים לגמרי אחרים מאשר לנו. את יודעת בדיוק למה אני מתכוונת. מנהגי ניקיון, ריח, כל מיני דברים."

שוב פרצה תמי בצחוק. "את מדברת כמו אחת עם דיעות קדומות!" אמרה, "מה עובר

לך בראש, נורית? את חושבת שהיא מלוכלכת או משהו כזה?"

"אני לא יודעת", אמרה נורית. "היא נראית בדיוק כמונו", הדגישה תמי.

"نראית זה לא אומר", התעקשה נורית, "אם היא חיה בכפר ערבי, יש לה מנהגים אחרים. כל אחד יודע שהערבים בכפרים הם קצת, את יודעת, פרימיטיבים."

"אם היא היתה פרימיטיבית, היא לא היתה מתקבלת לארזים", אמרה תמי.⁸¹

"ترددت نوريث قائلة: "أنا أدرك، دعك من هذا يا تامي، لقد جاءت من قرية عربية، وإن لديها عادات مختلفة تماما عنا، أنت تدركين بالتحديد ما أقصد، عادات النظافة، الرائحة، كل هذه الأمور."

انفجرت تامي في الضحك مرة أخرى وقالت: "أنت تتحدثين كشخص له آراء رجعية، ما الذي حل برأسك يا نوريث هل تعتقدين إنها قدرة أو شيء من هذا القبيل؟" قالت نوريث: "أنا لا أعرف."

أكدت تامي: "إنها تبدو مثلنا تماما."

تعنتت نوريث قائلة: "تبدو هذه لا تعني شيئاً، إن كانت قد عاشت في قرية عربية فإن لها عادات أخرى، الكل يعرف أن العرب في القرى إلى حد ما -هل تعرفين- همجيون." قالت تامي: إن كانت همجية لما قبلت في أرزيم."

عبرت الفقرة الفاتنة كذلك عن المحال تلك العقدة الصغيرة، وعن ذوبان الجليد شيئاً فشيئاً من خلال حوار تامي مع نوريث، حيث كشفت لها تماميها في القلق غير المؤسس على الوعي بالأمور وإدراك حقيقتها، فسخرت من إتهامها للفتاة العربية بالقذارة، كما أكدت لها أن قبولها في مدرسة أرزيم اليهودية الداخلية ينفي عنها صفة الهمجية، فلو كانت همجية لما استطاعت تجاوز كل المحظورات للقبول في المدرسة ولما سعت كل هذا السعي الدؤوب لدخولها وتلقي التعليم في ربوعها.

كشفت لنا الكاتبة كذلك عن الأثر النفسي الذي تركه هذه الآراء المسبقة في نفس من صدر عليه الحكم الغيبي بناء عليها، إذ تحفر في قرار وجدانه نفقا مظلما من المشاعر الاغترابية

التي قد تفوده لتمني الموت في بعض الأحيان، هذا الشعور الذي يمثل عقدة جديدة سرعان ما تجد لها حلا بمقاطعة أحدهم لأفكار نادية السوداوية حين مر لدخول الحمام ليشتت ذهنها وسط اكتئابها وبكائها ورغبتها في الابتعاد والهروب، فنقرأ:

”حزرتي אל השירותים. פתחתי את הברז ושטפתי את פני. בחנתי את עצמי במראה. עיני היו אדומות. שפתי רעדו. הכל נעשה כל כך שחור, בבת אחת, עד שלרגע רציתי למות .

מישהו צעד במיסדרון. נכנסתי אל אחד מחדרי השימוש
וסגרתי את הדלת על הבריח .”⁸²

”عدت إلى الحمام وفتحت الصنبور وشطفت وجهي، ونظرت إلى نفسي في المرأة، كانت عيناى حمراوتان، وشفطاي ترتعدان، كل شيء قائم جدا، ولوهلة بل للحظة رغبت في الموت. شخص ما يخطو في الممر، دخلت إلى أحد حجرات الاستحمام وأغلقت الباب بالمزلاج.“ سارت أحداث الرواية على هذا المنوال من الصعود والهبوط حتى تشكلت حبكتها الكبرى الرئيسة والتي تمثلت في وقوع حادث في إحدى المواقع نعتته الكاتبة بالإرهابي التخريبي راح ضحيته مدنيين يهود.

٤- النهاية المفتوحة بلا حل

تنتهي الرواية بحزم نادية أمتعتها لمغادرة المدرسة بعد أن أحست بالاتهام والكراهية في عيون من حولها إثر عملية فدائية قتل فيها مدنيين يهود، ولم تنضح الكراهية فقط من عيون زملائها اليهود في المدرسة، بل من كلماتهم وتعبيراتهم العدائية ضد العرب، فيخرج أودي المشرف اليهودي في المدرسة محاولا إثباتها عن قرارها، ولا يتضح لنا إن كانت قد حسمت قرارها بالفرار أم ستعود كي تحقق حلمها، حيث تخلص بنية السرد في الرواية إلى نهاية مفتوحة لا تطرح حلا، بل تعرض موقفين، وتترك للقارئ حرية تمثل وجهة النظر التي يراها مناسبة، فهي نهاية تحدث عصفها ذهنيا حول ماهية حياة عرب إسرائيل وما يعانونه، وخصوصا الفتاة العربية حاملة الجنسية الإسرائيلية التي تقف في مهب الريح بين عدد من التيارات التي تعصف بكيانها ووجودها، نظرة عرب القرية لها كربة منزل في المقام الأول، وأن كيانها المهني يعد من الفرعيات

لا الأساسيات، مما يجعل من إصرارها على الدراسة في الجامعة إلى درجة ارتياد مدرسة ثانوية داخلية يهودية أمرا يراه البعض من قبيل الخيانة، هذا بالإضافة إلى نظرة اليهود لها كونها العدو، فهي إرهابية مخربة أو على الأقل من نسل المخربين، غير أن هذا الرأي لا يتم الإعلان عنه صراحة، بل يغلقون عليه شغاف قلوبهم، ولا يظهر إلا في لحظات الغضب، أو في ساعة المواجهة التي تمثلت في وقوع حادث وقع ضحيته مدنيين إسرائيليين في نهاية الرواية.

حلم نادية لن يتحقق سوى باستكمال الدراسة في المدرسة الثانوية اليهودية التي قبلت فيها بالفعل بعد عناء مع مواجهة كل هذا العداء، وسلامها الداخلي لا يتحقق إلا وسط أسرتها وعائلتها وأصدقائها وبيتها ومزرعة أبيها الخضراء التي ترمز للأرض والاستقرار والهدوء والنماء، إن تلك الشخصية بطلة العمل تُركت في نهاية الرواية بين المطرقة والسندان، تقف كالريشة في مهب الريح، لا تعرف أين ترسو سفينتها، وتدعو الكاتبة القراء أن يساعدوا من هم مثلها في إتخاذ القرار الذي سيتحدد من خلاله مصير حياتها ومستقبلها.

ثانيا : عناصر تقديم الشخصية

بدا من العرض السابق للعناصر الأسلوبية أن الرواية في الأساس رواية تعتمد على الشخصية أكثر من اعتمادها على الحدث المروي، وليس أدل على ذلك من أن العتبات النصية في الرواية استخدمت كوسائل لتقديم الشخصيات الرئيسية، لذا تم تقديمها بالاسم كعنوان للرواية وأقسامها، وبالإضافة لذلك قدمت لنا الكاتبة عرضا وصفيا للشخصيات الرئيسية والفرعية أتت جميعها على لسان البطلة، حتى أن البطلة قدمت لنا وصفا دقيقا لدواخل قلبها ومشاعرها خلال حوار داخلي كشف مكونات فؤادها، فنجد الفقرة التالية وقد قدمت لنا وصفا للبطلة التي تجمع في دخيلة نفسها بين شعورين متصارعين، هذا الصراع الذي تحاول الانتصار فيه لنفسها وغاياتها الطموحة التي تسعى لإنجازها، إذ جمعت الفقرة بين شعور الاغتراب الذي يراودها لتركها لأهلها وقريتها وأصدقائها، وبين بارقة الأمل في تحقيق حلم التخرج كطبيبة تخدم قريتها وأعرانها، فتروي لنا نادية لحظة وداعها لعزيرة :

"התיישבתי ליד החלון ונופפתי בידי לעזיזה. נדמה לי שהיא בכתה. נשמתי עמוק ונשכתי את שפתי כדי שגם אני לא אפרוץ בבכי. בעד החלון הבטתי בכפר שלי. בתי האבן. הפרדסים. המטעים. עצי הברוש. המיסגד. המרפאה, בה עבדתי בהתנדבות בחופשים. עזרתי לרופאה הערביה שבאה מחיפה לטפל בחולים. חבשתי ילדים שרוטים ופצועים. כאן גמלה ההחלטה בליבי ללמוד רפואה כדי לחזור לכפר ולהיות הרופאה המקומית. בכפרים ערביים שכנים כבר נפוצה התופעה הזאת, ואני חלמתי להביא אותה גם לכפר שלנו."⁸³

"جلست إلى جوار النافذة ولوحت بيدي لعزيزة، بدا لي وكأنها بكت، تنفست الصعداء وعضضت على شفتي حتى لا انفجر أنا الأخرى في البكاء، نظرت إلى قريتي عبر النافذة، البيوت الحجرية، الحدائق، المأكولات، أشجار السرو، المسجد، المشفى الذي كنت أعمل به كمتطوعة في العطلات، كنت أساعد الطبيبة العربية التي جاءت من حيفا لتعالج المرضى، ضمدت جراح أطفال مصابين ومجروحين، من هنا حسم القرار بداخلي لأدرس الطب، حتى أعود إلى القرية وأصبح الطبيبة الإقليمية، فقد انتشرت هذه الظاهرة في القرى العربية المجاورة، وقد حلمت أن أحققها في قريتنا أيضا."

كما وصفت لنا الكاتبة الفتاتين اليهوديتين بالطريقة التي تنظر بها البطلة نادية إليهما، وفي ذات الوقت قدمت لنا وصفا خفيا لنادية وما يجول بخاطرها تجاههما، وكم الفضول الذي يعترها وهي تسير صوب دربها المجهول، وهذه المقارنة الدائمة التي تعقدها بينهما وبين صديقتها القديمة عزيزة صديقة الطفولة والدراسة:

"שתי בנות באו והתיישבו על הספסל מולי. אחת נשאה על כתפיה תרמיל ענק, והשניה תיק גדול מבד חאקי צבאי. לאחת היו צמות בלונדיניות ארוכות, כאילו לא הסתפרה מהיום שבו נולדה. לשניה היו שערות קצוצות. שתיהן ליקקו ארטיק. קולניות כאלה. מאושרות כאלה. פזלתי אליהן מעל הספר. כל כך זרות, חשבת. כל כך אחרות. ונזכרתי בעזיזה המקפידה לאסוף את שערותיה במטפחת."⁸⁴

"حضرت بنتان وجلستا على المقعد في مواجهتي، إحداهن تحمل على أكتافها حقيبة عملاقة، والأخرى تحمل حقيبة كبيرة من قماش الكاكي العسكري، إحداهن لديها خصل شعراء طويلة، وكأنها لم تقص شعرها منذ ولدت، والثانية شعرها قصير، كلتاهما تعلق مصاصة،

كانتا صاحبتان سعيدتان، وكنت أتابعهما من وراء الكتاب، سرحت في أهما غريبتان جدا، مختلفتان جدا، وتذكرت عزيزة التي تحرص على لم شعرها بمندبل.

أكدت الفقرة التالية كذلك على الفكرة ذاتها من شعور نادية بالاغتراب والاختلاف، من خلال وصف دقيق للتفاصيل قدم لنا الشخصيتين باختلافهما الشكلي للوهلة الأولى عن نادية، كما أوضحت الكاتبة الفضول الذي جعل عين نادية تطيل النظر فيهما وتتابع تفاصيل لباسهما بلا كلل أو ملل:

"لا יכולتی להסיר את עיני משתי הבנות. הן היו בנות גילי, ואף על פי כן נראו כל כך שונות. הבלונדינית לבשה מכנסיים קצרצרים שמהם בלטו שתי רגליים שזופות וארוכות. מחולצתה נגזרו השרוולים במספריים. היא נעלה סנדלים בצבע חום ואת הקרסול הימני שלה הקיפה שרשרת דקה מחרוזים צבעוניים .

הקצוצה כרכה סרט גומי סביב ראשה, סרט שהסתיר חלק ממצחה. גם היא לבשה חולצת טריקו שממנה נגזרו השרוולים במספריים, ולבשה מכנסי ג'ינס ארוכים. היא נעלה נעלי ספורט חדשות."⁸⁵

"لم استطع أن أرفع بصري عن الفتاتين، كانتا في نفس عمري، ورغم ذلك بدا عليهما أهما مختلفتان جدا، الشقراء ترتدي بنطالا قصيرا، تطل منه ساقان طويلتان سفعتهما الشمس، وقد تم قطع الأكمام من قميصها بمقص، وترتدي صندل بلون داكن، وقد طوقت كاحلها الأيمن بسلسلة دقيقة من الخرز الملون.

أما ذات الشعر القصير قد ربطت حول رأسها شريط مطاطي، شريط يغطي جزء من جبهتها، وهي أيضا ترتدي قميصا من التريكو قد تم قطع الأكمام منه بمقص، وترتدي بنطالا طويلا من الجينز، كما تنتعل حذاء رياضيا جديدا.

امتد التقديم الوصفي للشخصيات ليشمل الشخصيات الفرعية كذلك ويمكن حصر هذه الشخصيات وتوضيح صفاتها من خلال الرواية من خلال الجدول التالي:

الشخصيات الفرعية	طريقة تقديمها
والد نادية	قدمته الكاتبة على أنه نموذج للعربي المتنور المتقبل لأفكار الاندماج والمصالحة والمعاشية مع اليهود والتأثر بهم والتأثير فيهم.
والد عزيزة	عرضت الكاتبة لهذا النموذج كنموذج مقابل لشخصية والد نادية مخالفا له في كل شيء الطموح والتفكير والملابس والموقف من اليهود، وقد قدمته الكاتبة في صورة الرجعي المتخلف الذي لا يرقى إلى نموذج والد البطلة الطموح صاحب الرأي التقدمي والتفكير الواعي.
والدة نادية	عرضتها الكاتبة كزوجها تماما نموذجا للعمل والتفاني والكرم والإخلاص، كما قدمت بها صورة للعربي النظيف الذي يحافظ على نظافة ملابسه وبيته، بل ويبدو نموذجا يحتذى في هذا المضمار.
لطفية	هي أخت نادية التي تشبه والدتها في تفاصيل كثيرة ربما أرادت الكاتبة من وراء عرض شخصيتها التأكيد على تحقق الصورة الإيجابية للنساء العربيات وتنوعها، وكم تبدو إيجابياتها على تنوعها واختلافها في نماذج شتى.
جمال وحسن	هما أختا نادية ويبدو أن الكاتبة أرادت أن تجعل لبطلتها أسرة كبيرة العدد من الذكور والإناث لتشير إلى بعض العادات العربية المتمثلة في التناسل والتكاثر الزائد عن الحد في القرية العربية، فوالدا نادية أنجبا أكثر من ثلاثة أبناء.

<p>نموذج إيجابي جديد للرجل العربي يعد والد نادبة امتدادا له في التفكير.</p>	<p>جد نادبة</p>
<p>عرضتها الكاتبة كشخصية هامشية لم تشارك في صنع الحدث ولم ترد في الرواية اللهم إلا مرة ربما أرادت الكاتبة من وراء خلق هذه الشخصية التأكيد على بعض التقاليد العربية من تجمع العائلة الكبيرة في القرية العربية تحت سقف بيت واحد يظلمهم جميعا فيعيش في بيت نادبة الجد والأب والأم والأخوة والأخوات والأعمام والعمات.</p>	<p>عمة نادبة</p>
<p>هو ذلك الفتى العربي الوسيم الذي أثار مشاعر البطلة نادبة وقدمته لنا الكاتبة ربما لتعرض لنا وجود مشاعر المودة والحب البريء في المجتمع العربي، فهذه المشاعر ليست حكرا على مجتمع دون الآخر.</p>	<p>عابد</p>
<p>هو حبيب الفتاة اليهودية نوريت رفيقة نادبة في المدرسة، وربما أرادت من خلال عرض هذا النموذج المقارنة التي تحاول عقدها بين علاقة الحب التي تنشأ في قلب الفتيات العربيات واليهوديات، فرغم اختلاف شكل العلاقة، وطريقة تطورها إلا أن هذا لا ينفي وجودها لدى الفتيات في هذا العمر.</p>	<p>ياريف</p>
<p>هما زميلان عربيان لنادبة في المدرسة اليهودية ربما أرادت الكاتبة إبراز تحقق فكرة الاندماج مع اليهود في عقول عدد من العائلات العربية وسلوكهم من خلال تقبل الدراسة في المدارس اليهودية وتلقي التعليم على يد اليهود، فلم تكن أسرة نادبة وحدها متفردة في هذا السلوك.</p>	<p>أمين ومجد</p>

<p>تلك الطيبة العربية البارعة التي تقطن حيفا وتأتي للمشفى في قرية نادية في المثلث بضعة أيام في الأسبوع لتقدم المساعدة الطبية اللازمة، وقد عرضتها الكاتبة في صورة النموذج المثال الذي تحتذي البطلة حذوه وتضعه قدوة تود التشبه بها، بل وتعرضها كمثلة لنجاح فكرة الاندماج مع اليهود في خلق شخصيات عربية واعية متعلمة مثقفة.</p>	<p>الطيبة نجلاء</p>
<p>الفتاة اليهودية رفيقة نادية بالمدرسة التي اختارتها الإدارة لتكون عوناً لفتاة عربية على تجاوز صعوبات الدراسة والصعوبات اللغوية وصعوبات التعامل مع الآخرين التي قد تواجهها، وكان ذلك بعد تطوعها لهذا العمل وليس فرضاً أو جبراً، ولعل الكاتبة أرادت من خلال هذه الشخصية إبراز مميزات الشخصية اليهودية وتعاملها الإنساني التطوعي في خدمة من تراه يحتاج للمساعدة دون أن يطلب.</p>	<p>رينات</p>
<p>هو تلك الشخصية التي كان ينبغي تجسيدها كي تبرز الكاتبة طريقة تعامل إدارة المدارس اليهودية مع الطلاب العرب، والتي عرضتها في صورة إيجابية بطبيعة الحال.</p>	<p>مدير المدرسة اليهودية</p>
<p>هذه الشخصية الهامشية التي وظفتها الكاتبة لأجل شيء واحد بعينه يتمثل بإعلام تامي بكون نادية عربية حال رغبة تامي في مشاركة الغرفة معها، لتبدأ تامي في النظر إلى نادية بمنظور جديد هو منظور الفضولي الشغوف الراغب في المعرفة عن الآخر المختلف.</p>	<p>السكرتيرة بالمدرسة</p>

<p>وهو والد زميل نادية في المدرسة، والذي عرضته الكاتبة لتعرض اختلاف الرؤى في التعامل مع المشكلات بين العرب واليهود، من خلال وجهة نظره المختلفة مع الإدارة في التعامل مع مشكلة تمس ولده في المدرسة.</p>	<p>والد أمين</p>
--	------------------

ثالثاً: الزمكانية

نلاحظ في الرواية محل الدراسة أن بنية الزمان والمكان تمتاز بالثنائية، إذ يختلف زمن الخطاب الذي هو زمن الكتابة أو زمان صدور الرواية في عام ١٩٨٥م عن زمن الأحداث في الرواية والذي يطلق عليه زمن الحكاية^{٨٦} الذي يرمز لحقبة زمنية طويلة وممتدة منذ انخرط عرب إسرائيل في نسيج المجتمع الإسرائيلي، وحاولوا معاشته والتماهي معه، فقد تكررت هذه القصة لدى عدد من الفتيات والفتيان من عرب إسرائيل الذين فرضت عليهم الظروف حمل الجنسية الإسرائيلية، وفرض عليهم حلمهم في التطور والدراسة استيعاب فكرة الانضمام للمدارس اليهودية جنباً إلى جنب مع اليهود ومعاشة ذلك والتأقلم معه.

كما جمعت الخلفية المكانية في الرواية مكانين ممثلين للموقفين المتعارضين في الرواية، بيت البطة وقريتها من ناحية، والمدرسة اليهودية من ناحية أخرى، حيث يحاول الطرفين التعايش مع الآخر وتقبله، فكما اتجهت نادية للدراسة في المدرسة اليهودية، اتجه زملائها لزيارة قريتها والتعرف على حياتها وأهلها، وما كان من عائلتها إلا أن أكرموا وفادتهم واستقبلوهم، وفتحت الأحداث التي دارت في المكانين الباب على مصراعيه لمعرفة الآخر والتعايش معه بشكل أو بآخر، كما كانت الأمكنة مرآة عاكسة لأصحابها كما يقول النقاد^{٨٧}.

المحور الثاني : اللغة والأسلوب

تعددت الوسائل اللغوية والأسلوبية التي عرضت الكاتبة من خلالها أحداث رواية نادية، وكانت وثيقة الصلة بالمضمون، حيث أبرزت الدلالات بوضوح، وعبرت عن المشاعر الإنسانية والتقلبات النفسية التي تتردد في نفس بطلتها، كما عرضت عتباتها النصية لإشارات ترتبط

بمضامين النص لتستخدم كوسائل لعرض الشخصيات والتقديم للأحداث، ويمكن تقسيم الجوانب اللغوية والأسلوبية كالآتي:

١- الإيحاء اللفظي

يقول أحد الباحثين في مجال الأدب: " هناك إحساس بالمتعة وآخر بالنشوة تمبنا إياه الأعمال الأدبية ، ولكن هل الأدب يبعث في نفوسنا هذين الشعورين دائما ، ألا تدفعنا الأعمال الأدبية إلي الحزن والغضب والألم في بعض الأحيان ؟ هذا صحيح ، ولكن المتعة التي نحسها تابعة من كون الأديب قد سما بنا من تلك الذروة التي بدت لنا منها الطواهر المثيرة للحزن والغضب والألم مثيرة حقا لتلك المشاعر ، ومن خلال إدراكنا لتلك المشاعر نتحلى بأفكار ومثل سامية ، وهذه هي حقيقة المتعة التي يهبنا الفن إياها ، وهذه هي قيمته الجمالية التي نستمتع بها .^{٨٨}

وعليه فإن الإيحاء اللفظي يمثل أسلوبا في غاية الأهمية يكشف لنا بجلاء عن المشاعر المختلفة من رهبة وخوف وتخبط وتردد ، وهذا ما تكشفه لنا بعض العبارات في الرواية إذ نجحت الكاتبة في إبراز مشاعر البطلة نادية، تلك التلميذة العربية التي تتقلب في فراشها يجافها النوم خوفا من مجهول هي مقدمة عليه يتمثل في الالتحاق بمدرسة يهودية داخلية، فهي لأول مرة تتحدث العبرية بشكل دائم، بل وتدرس بها، ولأول مرة تتعامل مع طلاب يهود، ولأول مرة ستترك قريتها لتقيم في مدرسة داخلية، فنقرأ من الرواية تلك العبارات التي عبرت عن منتهى التوتر وأوحت لنا بالحالة النفسية المتخبطة للبطلة:

" בגלל הפחד לא הצלחתי להרדם במשך כל הלילה ... עד שפתאום התחלתי לחשוב שהבוקר כבר לא יגיע לעולם. "⁸⁹

" بسبب الخوف لم أنجح في النوم طوال الليل ... بدأت أفكر فجأة أن الصباح لن يحل أبدا "

نجد الكاتبة تكرر بعض الألفاظ لتعطي إيحاء بالمشاعر الداخلية التي تدور في نفس البطل كتحفيز للإرادة ونبذ الخوف والتخبط، بل يهدف التكرار للتأكيد عليها، إذ نقرأ:

"מחר את נוסעת. אין אפשרות לסגת. את נוסעת... נוסעת... נוסעת..."⁹⁰

" غدا تسافرين، لا مجال للانسحاب، سوف تسافرين ... تسافرين ... تسافرين ... "

فرغم ما تشعر به البطلة من خوف فهي تجادل نفسها وتصارع مخاوفها متحدية لكل شعور محبط، فهي تحفز همتها وتقطع الطريق على كل محاولة للانسحاب.

وتوحي لنا الكاتبة بمقارنة بين مشاعر البطلة تلك وبين معادها الموضوعي المرافق لها في رحلتها إلى كم المشاعر المتخبطة التي تحملها داخلها، حيث كانت حقيبتها تبدو لها ككتلة جامدة صماء مثلها ترفض الرحيل، وإن كانت مضطرة له، تبقى في الظلام ولا تظن الصبح آت، ولكنها تعلم أنها ستسافر غدا لا محالة فتصفها قائلة:

"ليد המיטה שלי ניצבה המזוודה כמו גוש מלבני כהה בחשכת החדר. לא יכולתי שלא לראות אותה"⁹¹

"وتستقر الحقيبة إلى جوار الفراش ككتلة مستطيلة صماء وسط ظلام الغرفة لم استطع أن أتجنب النظر إليها."

٢- العنوان كحنية نصية

يدخل (العنوان ودلالته) ضمن العتبات النصية الداخلية المحيطة ، وهذه العتبة النصية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكاتبة، وما تريد التأكيد عليه وتوجيه فكر القارئ إلى أهميته⁹² ، وكان اختيار اسم العلم "نادية" اختياراً موفقاً من قبل الكاتبة، إذ مثل إشارة قوية معبرة عن ارتباط العنوان بالشخصية، وكذا ارتباط العمل ارتباطاً وثيقاً بالشخصية الرئيسية فيه التي تتوج كبطلة العمل، فالكاتبة بهذا الطرح لعنتبتها النصية الخورية لفتت انتباه القارئ إلى أن محور الرواية وموضوعها يدور عن فتاة بعينها يكشف اسمها عن كونها عربية الأصل.

كما اعتمدت الكاتبة في عناوين أقسام الرواية النهج نفسه من التركيز عن الشخصيات والإشارة إليهم بأسمائهم في مقدمة كل جزء ، إذ قسمت الكاتبة روايتها إلى أربعة أجزاء يحمل كل جزء اسم علم يمثل عنواناً لعدد من الفصول التي تدور أحداثها حول تفاعل هذه الشخصية صاحبة العنوان مع البطلة التي تنصدر عنوان الرواية، وعليه فيمكننا حصر العتبات النصية في الرواية وتحديد دلالتها من خلال الجدول التالي:

العتبة النصية	دلالاتها
נדנדק - نادية	عنوان الرواية يحمل اسم البطلة التي تمثل محور الحدث والتي ستتفاعل على طول صفحات الرواية مع شخصياتها كافة.
תמיו ונדנדק - تامي ونوريت	هما طالبتان يهوديتان ترافقان البطلة نادية في غرفتها بالمدرسة الداخلية اليهودية وكذا في الفصل الدراسي وقد فتح تفاعل نادية معهما الباب على مصراعيه للتواصل وتعرف الكثير عن الآخر المختلف عنها.
נדנדק - رونين	نظرا لأن التفاعل في الجزء السابق كان مع فتاتين يهوديتين سارعت الكاتبة باختيار العنوان الجديد للقسم الجديد لطالب في المدرسة اليهودية لتوضح كيفية تعامل البطلة واحتكاكها مع زملائها الذكور في المدرسة ذاتها.
נדנדק - عزيزة	عزيزة هي فتاة عربية أخرى كانت صديقة لنادية في مراحلها الدراسية السابقة قبل اتجاه الأخيرة للدراسة في مدرسة ثانوية يهودية، ولعل الكاتبة أرادت بالإشارة إليها لفت الانتباه إلى وجود نموذج مختلف من الفتيات العربيات الرافضات للاندماج مع اليهود وهو النموذج المخالف لنموذج البطلة نادية.
נדנדק - أودي	أودي هو المعلم اليهودي المكلف بأمور الإشراف في المدرسة اليهودية والذي أرادت الكاتبة على ما يبدو من وراء تصدر اسمه لعنوان أحد أقسام الرواية تثنيم دوره في التوفيق بين الطلاب العرب واليهود .

مثل اسم العلم هنا رمزا معبرا عن فئة من المجتمع الإسرائيلي، فعبرت نادية عن الفتاة العربية المتنورة التي يمكنها أن تتصارع مع أفكارها المسبقة عن اليهود، وتجاهد في التعامل معهم

وتقبلهم والاندماج في نسيجهم المجتمعي، وكذا عزيزة فتاة عربية أخرى تخالف تماما نموذج الفتاة نادية في ملابسها وتفكيرها وطموحها ومعتقداتها، وهي غير متقبلة للآخر اليهودي وغير مستعدة للاندماج معه، أما نوريت وتامي هما فتاتان يهوديتان تتراوح شخصياتهما بين القبول والرفض لفكرة الاندماج مع العرب وتقبلهم، وكذا رونين اليهودي، أما أودي فهو يمثل دور الحكم في مباراة كلامية ونفسية _ إن صح التعبير _ يفك الاشتباك ويحاور ويناور من أجل تصفية الخلافات وتحقيق الهدوء والسكينة والسلام النفسي.

مثلت عتبات النص المعنونة بأسماء بعض الشخصيات في الرواية الإشارة إلى شخصيات العمل الرئيسية التي تتحاور وتتصارع سويا وسط أحداث الرواية لذلك اختارت الكاتبة أسماءهم كعناوين لأقسام روايتها، وفرشت بهم عتباتها النصية التي تقودنا إلى الشخصيات الفرعية المساهمة في صنع الحدث.

وهذا لا يتنافى مع تصدر نادية لدور البطولة في العمل بتصدرها لعنوانه، ويؤكد على ذلك صفحة الغلاف التي تحمل صورتها كتعبير عن الصدارة والبطولة، حيث مثلت صفحة الغلاف تلك عتبة نصية أخرى مؤكدة على مسار العمل الروائي وبطلته.



وهكذا يتضح لنا اتصاق العتبات النصية مع الشخصية والرمز الدال في الرواية.

٣- غلبة الأسلوب الإنشائي على الأسلوب الخبري

اتسم أسلوب الكتابة بالتنوع أحيانا بين الأساليب المختلفة سواء كانت إنشائية أو خبرية، إلا أننا نلاحظ غلبة للأسلوب الإنشائي الذي يضيف جمالية في عرض المضمون، فنجدها تعتمد الأسلوب الإنشائي في صيغ السؤال الذي يحمل دلالات عدة، فنجد البطلة توجه الأسئلة التعجبية الاستنكارية لنفسها في حوار داخلي قصدت به الكتابة إجلاء الحالة النفسية لنادية التي تمتاز بالتخبط، فنقرأ عن ارتيابها في القرار الذي اتخذته من الالتحاق بالمدرسة الداخلية:

"لמה لا לקחתי בחשבון הרגשה נוראה זו? למה לא ראיתי אז, כשהחלטתי, את המראות המאיימים האלה שאני רואה עכשיו, בלילה אינסופי זה?"⁹³

"لماذا لم أضع هذا الشعور الرهيب في الاعتبار؟ لماذا لم أبصر ذلك وأنا اتخذ القرار؟ ولماذا لم أبصر تلك الرؤى المفزعة التي أراها الآن ليلا بشكل لا نهائي؟"

وتواصل الكتابة عرض مخاوف نادية بأسلوب السؤال التعجبي الاستنكاري كذلك، الذي يبرز بجلاء ما يجول في نفس البطلة من استفسارات لا تزال لا تستطيع الإجابة عنها، فنقرأ:

"שתקתי. חשבתני: איך תתיחסנה אלי הבנות? עם מי אגור בחדר? האם תהיינה בנות שתסרבנה לגור איתי? "לא רוצות לגור עם ערביה, אדון מנהל! לא רוצות!!". נשכתי את שפתי בכעס. למה הייתי צריכה לתקוע את עצמי לתוך הצרה הזאת? הייתי יכולה להמשיך ללמוד בבית הספר התיכון של הכפר, וגמרנו."⁹⁴

"صمتت وأخذت أفكر: كيف ستتعامل الفتيات معي؟ ومع أيهن سأقيم في الغرفة؟ وهل سيكون هناك فتيات ترفضن الإقامة معي؟ وترددن: "لا نريد الإقامة مع فتاة عربية أيها المدير... لا نريد". عضضت على شفتي من فرط الغضب، لماذا اضطرت أن أزعج نفسي داخل هذه الكارثة؟ كنت أستطيع أن أواصل الدراسة في المدرسة الثانوية بالقرية وكنا انتهينا."

بعد ذلك حل السؤال الذي يهدأ النفس، ويحاول بث الهمة والتشجيع على المواصلة والنجاح وقد ربطت الكتابة هذا السؤال بتذكر البطلة حلمها في دراسة الطب، فقد أوقف طموحها مخاوفها، وجاء السؤال معاتباً لتلك النفس التي حاولت التخلي عن الطموح، ورأت التراجع عن الهدف أكثر يسراً من السعي لتحقيقه، كما نجد تجسد الأسلوب الخبري في الرد عن

هذا السؤال بحسم ويقين، حين تعلن البطلة في الفقرة التالية عن الاستمسك بقرارها الذي يوجب عليها تحفيز الإرادة والمضي في طريق السعي بلا هوادة :

"بבת אחת הפסקתי לרעוד. המחשבה על לימודי הרפואה הרגיעה אותי. אם אלמד בבית ספר יהודי ואצליח, יהיה לי הרבה יותר קל. יש לי מטרה. אז למה לי לחשוב על כל הפרטים הקטנים והמשניים? אני אלמד ואצטיין. כל היתר ממני והלאה."⁹⁵

"وفي لحظة واحدة توقفت الرجفة، فالتفكير في دراسة الطب قد هدأ من روعي، فإن درست في مدرسة يهودية فسوف أنجح، وسيكون تحقيق ذلك بالنسبة لي أكثر يسرا، إن لدي هدف، فلماذا أفكر في كل التفاصيل الصغيرة والثانوية؟ سوف أدرس وأتميز، والبقية تأتي لاحقا." كما كانت عدم مشاركة البطلة لمشاعرها ومخاوفها مع من هم في محيطها مدعاة لتجدد هذه المخاوف كلما خلت لنفسها، فنجد البطلة في الفقرة التالية تفكر في طريقة تعبير التلميذات اليهوديات في مدرستها الجديدة عن عدم تقبلهم لها بأسلوب الاستفهام الدال على التعالي والسخرية والازدراء كما نستقرأ من الفقرة التالية:

"ראיתי את עצמי יושבת לבדי וכולם מצביעים עלי. לא נמצאה בת אחת שהיתה מוכנה לגור איתי. והבנים צחקו. "ערביה" אמרו כולם. "ע-ר-ביה". והבנות הדגישו: למה היתה צריכה לבוא ללמוד איתנו? מה זה, כבר אין להם בתי ספר משלהם?"⁹⁶

رأيت نفسي أجلس وحدي والجميع يشير ناحيتي، وليس هناك فتاة واحدة مستعدة للسكني معي، والفتيان يضحكون: "عربية" ويردد الجميع: "ع-ر-ب-ية" بينما تؤكد الفتيات قائلات: لماذا اضطرت للمجيء والدراسة معنا؟ ما هذا؟ أليس لديهم مدارس تخصهم؟

ومزجت الفقرة التالية بين الأسلوب الإنشائي والخبري تنابعا للفكرة ذاتها:

"אחר כך ראיתי את עצמי יושבת בכיתה. המורה מדברת ואני לא מבינה שום דבר. היא שואלת שאלות וכולם מצביעים כדי להשיב לה, חוץ ממני. אינני מבינה את השאלות. אינני מבינה גם את השפה שהיא מדברת. זו עברית אחרת. אולי עברית עתיקה. אולי עברית מיוחדת רק של היהודים. למה היא צריכה לדבר בשפה זאת? האם זה רק מפני שהיא רוצה להוכיח לי עד כמה אינני שייכת לכאן."⁹⁷

"رأيت نفسي جالسة في الفصل، والمعلمة تتحدث وأنا لا أفهم شيئاً، وهي تسأل أسئلة وجميعهم يرفعون أصابعهم للإجابة عنها فيما عادي، لم أحضر الأسئلة، ولم أفهم اللغة التي تتحدث بها، إنها عبرية أخرى، ربما عبرية قديمة، وربما عبرية خاصة باليهود فحسب، لماذا ينبغي عليها التحدث بهذه اللغة؟ هل فقط لأنها تريد أن تبرهن لي أنني لا انتمي إلى هنا؟"

كما نجد مثالا آخر للسؤال الذي يفتش عن إجابة، ويعبر عن الحيرة في تساؤلات البطلة عن أسباب الابتسامة الحزينة التي ارتسمت على شفتي جدها ساعة الوداع، والتي تجيب عنها بجمل أخرى استفهامية متعددة تحمل تصورا لاحتمالية الإجابة:

"סבא שתק. חיידך חיוך עצוב. לא יודעת למה היה החיוך שלו עצוב. אולי דאג לי ושתק - כדי לא להדאיג אותי? אולי חשש שלא אצליח להצטיין? שהלימודים יהיו קשים כל כך ואני לא אעמוד בקשיים?"⁹⁸

"صمت جدي وابتسم ابتسامة حزينة، لم أكن أدرك لما كانت ابتسامته حزينة، ربما قلق علي وسكت حتى لا يقلقني؟ ربما كان يخشى ألا أتفوق في الدراسة؟ أو أن تكون الدراسة صعبة جدا ولا أستطيع الصمود أمام الصعوبات؟"

لم ترد التساؤلات التعجبية الاستنكارية فقط على لسان البطلة نادية، بل نجد صديقتها العربية عزيزة تباغتها بسؤال ينكأ جرحها الذي تحاول مداراته:

"היא חייכה חיוך עצוב .

"רק לברית", מילמלה, "מהבוקר עד הערב רק לברית. את עוד תשכחי לדבר ערבית. לא חשבת על זה?"⁹⁹

"ابتسمت ابتسامة حزينة وتمتمت: فقط بالعبرية من الصباح وحتى المساء، حتى إنك سوف تنسين التحدث بالعربية ألم تفكري في ذلك؟"

ونجد أساليب الاستفهام تتابع كالسيل الجارف معبرة عن مخاوف نادية وتساؤلاتها المتكررة حول اختلاف هيتها وملابسها عن الفتيات الأخريات في المدرسة اليهودية، هذا الأمر الكاشف عن مشاعرها المتضاربة ومخاوفها من عدم القدرة على التكيف:

ואני? כשיצאתי מהכפר חשבתני שאני לבושה בסדר. זאת אומרת מאוד מודרני. מכנסי ג'ינס, חולצה משובצת ונעלי ספורט. והנה בכל זאת אני כל כך שונה. הג'ינס שלי שונים כל כך מהג'ינס של הנערה קצוצת השיער,

وشروولي الحولצה שלי كل כך بולטים על רקע השרוולים שנגזרו מהחולצות שלהן. האם זה רק נדמה לי? האם אני מושכת תשומת לב בבגדים האלה? האם כך מתלבשות כל הבנות שעומדות ללמוד איתי ב"ארזים"؟¹⁰⁰

"وماذا عني؟ عندما خرجت من القرية ظننت أنني ارتدي ثيابا ملائمة، أي أكثر عصرية، بنظرا من الجينز، وقميصا مزخرفا، وحذاء رياضيا، ورغم كل ذلك فأنا مختلفة، فالجينز خاصتي يختلف تماما عن الجينز الذي ترتديه الفتاة قصيرة الشعر، وأكمام قميصي بارزة جدا بالمقارنة بأكمام ثيابهم المقصوفة، هل هذا يبدو لي وحدي؟ هل ألفت الانتباه بهذه الثياب؟ وهل هذا ما تلبسه كل الفتيات اللاتي من شأنهن أن يدرسن معي في أرازم؟"

خاتمة

من خلال تتبع التناول الأدبي لعرب إسرائيل في رواية نادية توصل البحث للنتائج التالية:

١- تمثل الدافع الرئيس لتناول الكاتبة لقضية عرب إسرائيل كونها تراها إشكالية ينبغي طرحها وإيجاد الحلول لها، كما مثلت النهاية المفتوحة للرواية إعلانا عن هذا الدافع وطرحا لهذه القضية بحثا عن حل.

٢- بدت إشكالية عرب إسرائيل في الرواية من خلال مظاهر عدة، منها مشكلة التعايش، وإمكانية تقبل كل طرف للآخر في المجتمع الإسرائيلي، وكذا من خلال تعدد الرؤى حول هذه القضية متمثلة في تعدد نماذج الشخصيات واختلافها.

٣- اختلف تناول شخصية العربي في رواية نادية عن الصورة المتعارف عليها في الأدب العبري الحديث السابق على صدور الرواية والذي يرجع إلى ما قبل عام ١٩٧٣، إذ ابتعدت الكاتبة عن تمثيل صورة نمطية للشخصية العربية، وطرحت أكثر من نموذج لها.

٤- تعددت نماذج الشخصيات العربية واليهودية في الرواية وتراوحت بين الإيجابية والسلبية، فلم تقصر الكاتبة الصفات السلبية على الشخصية العربية فحسب، بل كانت أكثر توازنا في العرض من نظرائها من الأدباء.

٥- تصدر اسم نادية لعنوان الرواية، وكذا جعل الأحداث تدور في مدارها كشخصية رئيسة في العمل تُروى الأحداث على لسانها كشف عن تصدر الشخصية العربية لدور البطولة، كما

- كشفت عن رغبة عارمة لدى الكاتبة في تبيان معاناتها والتعبير عن مشاعرها، ولا سيما أنها قدّمت في صورة البطل الإيجابي وليس البطل الضد.
- ٦- وظفت الكاتبة مضامين روايتها ووسائل تعبيرها الفنية لإبراز الهدف من الرواية، وأدعي أنها وفقت إلى حد كبير اللهم إلا في مواضع قليلة أبرزتها الدراسة في متنها.
- ٧- كون الكاتبة امرأة ساعد في نجاح تناولها لقضية فتاة عربية تعاني أزمة الهوية في المجتمع الإسرائيلي، فأدعي أن طرح هذه الإشكالية على لسان عنصر نسوي ساهم مساهمة فعالة مع كون الكاتبة امرأة في إبراز القضية من وجهة نظر نسوية تحليلية معمقة.
- ٨- ساهم الحوار مساهمة فعالة في إبراز المضامين، ورمز بشكل واضح إلى حاجة طرفي الصراع في الرواية للحوار لفهم الآخر وتقبله، وإدراك دواخله ومكونات نفسه.
- ٩- اعتمدت الكاتبة على الوصف في تقديم شخصياتها لتوضيح ما عجز الحوار عن إبرازه.
- ١٠- حاولت الكاتبة التنويه عن وجود العنصرية والتعصب لدى العرب واليهود على حد سواء.
- ١١- تلمست الكاتبة نقاط تلاق قد تجمع بين العرب واليهود في بوتقة واحدة تساعدهم في خلق مجتمع متجانس، في محاولة لرأب الصدع والبحث عن حلول.
- ١٢- استشرفت الباحثة من خلال الرواية أن التعايش الذي تدعو له الكاتبة تحكمه شروط مقيدة لا يصوغها إلا الجانب اليهودي وحده، ومن هنا تنبع استمرارية المشكلة وتفاقمها.

الهوامش:

¹ جلילה رון-فدر-عاميت جليلة رون فيدر عاميت: روائية إسرائيلية ولدت في حيفا في عام ١٩٤٩ أي بعد قيام إسرائيل بعام واحد، تبلغ اليوم ٧١ عاما، تصنف ككاتبة في مجال أدب الطفل، كتبت قرابة الريمائة كتاب، كما كتبت العديد من السيناريوهات لأفلام تلفزيونية، وتم عمل فيلم سينمائي مستقى من قصة رواية نادية موضوع البحث، أصدرت مجلة للأطفال، كما ترأست تحرير مجلة علمية لصغار القراء، تدور أغلب أعمالها الأدبية لتوجيه الأطفال الذين يعانون في حياتهم للتغلب على مشكلاتهم الشخصية والأسرية، درست في المدرسة الواقعية العبرية، وتخرجت في الجامعة العبرية في القدس حيث تخصصت في دراسة العهد القديم والأدب العبري، تزوجت من آفي فيدر وأنجبت منه ثلاثة أبناء، وبعد طلاقها منه تزوجت للمرة الثانية من مشولام عاميت، وهي ترعى عشرة من الأطفال بالتبني، نشرت أول كتاب لها في عام ١٩٧١، ترجمت أعمالها لعدد من اللغات، حصلت على أول جائزة لها في عام ٢٠٠٨ عن فيلم (ألا للامي من أجل نفسي) في مهرجان أفلام الأطفال في فرانكفورت، وهو الفيلم الذي استوحى من رعايتها لأطفال بالتبني، كما حصلت على جائزة أخرى من المنظمة الصهيونية العالمية عن إنجازاتها الحياتية والمجتمعية، كما حصلت على جائزة ليفي إشكول للأدب في عام ٢٠١٨.

للمزيد حول الكاتبة ونتائجها الأدبي راجع:

- جلילה رון-فدر-عاميت. الكل بראش. يديעות اחרונות, الموسף לשבת - سפרות, 12 במאי 2006, עמ' 30.
- לך, ורד. חמש שאלות לגלילה רון-פדר עמית: לבבות הילדים פתוחים. הארץ, מוסף ספרים, גל' 903, 16 ביוני 2010, עמ' 3.
- סצ'רדוטי, יעקבה. טרנסטקסטואליות בשירות הציונות: אידאולוגיה והבניית זהות לאומית בסדרה "מנהרת-הזמן" לגלילה רון-פדר-עמית. גילוי דעת, גל' 10 (סתיו 2016), עמ' 77 - 100.
- עמרסי, אמילי. "גם היום ילדים אוהבים את הספרים שלי". ישראל היום, 7 בפברואר 2014, עמ' 44 - 49, ראיון עם הסופרת עם יציאת הסדרה "ילדים אלמונים".
- גר, צפריה. באור ובסתר. ספרות ילדים ונוער, ג' (31) פברואר 1982, עמ' 45-46-47.
- זהבי, אלכס. לא הכל אבוד. הארץ, מוסף ספרים, גל' 159, 13 במארס 1996, עמ' 12.
- ברנדס, יוכי. סינדרום הסבתות המופלאות. הארץ, מוסף ספרים, גל' 260, 18 בפברואר 1998, עמ' 6.
- הולצמן, אבנר. יומרות מיותרות. בספרו: מפת דרכים: סיפורת עברית כיום, תל-אביב, הקיבוץ המאוחד, 2005, עמ' 173-175.
- בורובסקי, דגנית. בכירי המשטרה הם החשודים. מעריב, מוסף שבת - ספרות וספרים, 2 בינואר 2000, עמ' 28.

- ز'كونت، آمنون. مووت بشירותים. ידיעות אחרונות, המוסף לשבת - תרבות, ספרות, אמנות, 22 באוקטובר 1999, עמ' 28.
- גלסנר, אריק. בראי החברות. מעריב, מוסף שבת - ספרות וספרים, 31 במארס 2006, עמ' 26.
- ויץ, יחיעם. בגין שבדמיון. הארץ, מוסף ספרים, גל' 917, 22 בספטמבר 2010, עמ' 14.
- רון פדר-עמית, גלילה. היסטוריה ושירה מזווית אחרת. ספרות ילדים ונוער, חוברת 135, אוגוסט 2013, עמ' 73-75.
- ² רاجع: علي محمد راشد: انعكاس شخصية العربي في أدب الأطفال في السنوات ١٩٩٠: ١٩١٥، جامعة بغداد، العراق ص ١: ٢٤ نسخة pdf على اللينك التالي:
<https://portal.arid.my/Publications/doc3a8a4b53f21ad-b90-4fb4be-23-52e81f97>
- ³ للمزيد حول أدب المراهقين: ندى يسري علي أحمد: الدلالة المضمرة في رواية نادية - قصة تلميذة عربية للكاتبة الإسرائيلية جليلة رون فيدر عميت - دراسة نقدية ثقافية، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، العدد ٢٢، يناير ٢٠٢٢. ص ١٥٠: ١٥٢.
- ⁴ رودين، شي: لا מקובלת: הקאנון של גלילה רון פדר עמית، פורסם 1-2 - 2015. 40: 13.
<https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4614654,00.html>
- ⁵ Margalith, Haim: "Enactment of a Nationality Law in Israel". *The American Journal of Comparative Law*. 2 (1), 1953, p0 63 - 66.
- ⁶ Israel in Figures 2010, Israeli Central Bureau of Statistics, 2010. <https://cbs.aw/wp/>
- ⁷ Mendel, Y: The Creation of Israeli Arabic. University of Cambridge 2014, p.139.
- ⁸ راجع: يحيى محسن محمد المطلقة: عرب ٤٨ بين الانتماء وفقدان الهوية في النتاج القصصي العبري لسيد قشوع. دراسة في الشكل والمضمون، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠١٢.
- ⁹ لياب اورغد: الميعوت הערבי בישראל וחובת שירות ביטחון, המשפט، 2007... עמ' 381.
- ¹⁰ ג' ישראל-זיידמן: הזכות לשרת בצה"ל, הוצאת פרלשטיין, תל-אביב, 1996... עמ' 172 - 176.
- ¹¹ משה ברנט: גיוס הערבים לצבא כאינטרס לאומי, האוניברסיטה הפתוחה, בלי תאריך... עמ' 1.
- ¹² עזמי بشارة: هل يشكل العرب داخل إسرائيل حالة سياسية؟ سلسلة تحليل السياسات للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يناير/كانون الثاني ٢٠١١... ص ٦، ٧.
- עאדל מנאע: נכבה והישרדות. סיפורים של הפלסטינים שנותרו בחיפה ובגליל 1949: 1956, הוצאת ון ליר, ירושלים, בלי תאריך... עמ' 114.
- ¹³ قال بن جوريون: "إن حدود الدولة هي موضوع يخص الشعب اليهودي وحده ولا يمكن لأي قوة خارجية أن تحددها له.", ويقول سفر يشوع (النص الحرفي) أن الحدود مفتوحة حسب إقدام بني إسرائيل فكل أرض داست عليها أقدامهم هي ملك لهم، راجع: حنان اخميس: كيف تمت عملية تهجير يهود الفلاشا إلى إسرائيل؟ دنيا الوطن، ١ يناير ٢٠٠٥... <https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/...٢٠٠٥/٠١/٠١/٤٧٤٤٠١.html>

- ^{١٤} يقول العلامة أوجين بيتار: إن جميع اليهود في نظر علماء الانثروبولوجيا، على الرغم من كل ما يدعيه اليهود المنضون تحت الفكرة العنصرية الإسرائيلية، يعيدون عن الانتماء إلى جنس يهودي. (ويؤكد رينان هذا الطرح قائلاً: لا توجد سحنة يهودية، بل هناك عدّة سحنات يهودية. (وليس هناك قول أصح من هذا، فنحن لا نستطيع أن نعتبر اليهود الحاليين مكونين لكتلة بشرية ذات عنصر واحد، ولا حتى في فلسطين، بعد أن جرت إليها الحركات الصهيونية كثيراً من الإسرائيليين دون اختيار أو تمييز. فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية، اندمج فيها في كل عصور التاريخ أشخاص من أجناس متباينة، راجع: عبد الوهاب محمد المسيري: الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٩٩٩ ... ص ٣٥ .
- ^{١٥} عزمي بشارة: هل يشكل العرب داخل إسرائيل حالة سياسية؟ ... ص ٤ .
- ^{١٦} المرجع السابق ... ص ٦ .
- ^{١٧} محمود ميعاري: مناهج التعليم العربي في إسرائيل، دراسات نقدية في مناهج اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والمدنات، المجلس التربوي العربي، ٢٠١٤، الفصل الثاني ... ص ٧٣: ١٢٢ .
- ^{١٨} هادي نعمان المهيتي: أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، القاهرة، بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، والهئية المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٧٧ .
- ^{١٩} محمد كامل: أدب الأطفال العربي قبل عام ١٩٧٣م - الصورة السلبية للعربي في قصص الأطفال العربية، ١٤ نوفمبر ٢٠١٩. <https://aqlamblahoyah.blogspot.com/٢٠١٩/١١/١٩٧٣.html>
- ^{٢٠} أشار إلى ذلك جرشون شاكيد، بقوله: "إن هناك أدباء عبريين صوروا العربي بالعربي التقليدي، ساكن صحراء، راعي جمال تستولي عليه دائماً غريزة الثأر والانتقام والشعور بالأصالة وحب الأبهة والاعتزاز والشهرة." راجع : مجلة فكر الثقافية، الشخصية العربية في الأدب العربي، ٢٠١٥ .
- ^{٣٦} http://www.fikrmag.com/topic_details.php?topic_id=
- ^{٢١} جمال عبد السميع الشاذلي: القصة العربية القصيرة في أدب عاموس عوز، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٩١. انظر الباب الثاني حول مضامين قصصه.
- ^{٢٢} للمزيد راجع: جمال عبد السميع الشاذلي: أثر حرب أكتوبر على المجتمع الإسرائيلي في الرواية العربية الحديثة : دراسة في رواية الصحوة الكبرى لبني برياش، مجلة رسالة المشرق، مجلد ١١، العدد ١٤ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٧ : ٢١٩ .
- محمد أحمد صالح: الشخصية العربية في المسرحية العربية بعد حرب أكتوبر، دراسة في مسرحية نعيم للكاتب أ.ب يهوشوع، مجلة رسالة المشرق، مجلد ١١، العدد ١٤ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢١ : ١٨٦ .

٢٣ مجلة فكر الثقافية، الشخصية العربية في الأدب العربي، ٢٠١٥.

٣٦ http://www.fikrmag.com/topic_details.php?topic_id=

٢٤ راجع : جبلا رامراز رايوخ: العربي في الأدب الإسرائيلي، أطروحة علمية صادرة عن جامعة انديانا بالولايات المتحدة

الأمريكية ، ترجمة نادية سليمان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١.

٢٥ رون فرّد- عمّيت، غليله : نأءيه، رونن ليليم ونوعر، الهؤؤؤؤ ون- لير، يروشليم، 1985، عمّ 9.

٢٦ ش، عمّ 10.

٢٧ ش، عمّ 10.

٢٨ ش، عمّ 10.

٢٩ ش، عمّ 11.

٣٠ ش، عمّ 149.

٣١ ش، عمّ 10، 11.

٣٢ ش، عمّ 11.

٣٣ ش، عمّ 150.

٣٤ ش، عمّ 149.

٣٥ ش، عمّ 120.

٣٦ ش، عمّ 113.

٣٧ ش، عمّ 113 - 114.

٣٨ ش، عمّ 114.

٣٩ ش، عمّ 114.

٤٠ ش، عمّ 123.

٤١ ش، عمّ 124.

٤٢ ش، عمّ 124.

٤٣ ش، عمّ 124 - 125.

٤٤ ش، عمّ 135.

٤٥ ش، عمّ 132.

٤٦ ش، عمّ 123.

٤٧ ش، عمّ 129.

٤٨ ش، عمّ 131.

٤٩ ش، عمّ 132.

٥٠ ش، عمّ 132.

٥١ ش، عمّ 83.

٥٢ ش، عمّ 84.

٥٣ ش، عمّ 85.

٥٤ ش، عمّ 86.

٥٥ رون فرّد- عمّيت، غليله : نأءيه، عمّ 88.

٥٦ ش، عمّ 91.

٥٧ ش، عمّ 92.

٥٨ ش، عمّ 92.

٥٩ ش,س,ع,م 94.

٦٠ ش,س,ع,م 95.

٦١ ش,س,ع,م 100.

٦٢ ش,س,ع,م 116.

٦٣ ش,س,ع,م 149.

٦٤ ش,س,ع,م 84.

٦٥ ش,س,ع,م 84.

٦٦ ش,س,ع,م 10.

٦٧ ش,س,ع,م 11.

٦٨ ش,س,ع,م 156.

٦٩ ش,س,ع,م 157, 158.

٧٠ ظهر تيار الوعي بعد حرب ١٩٧٣ الذي يطلق عليه جماعة التفسخ والتحلل عند جرشون شاكيد والذي وجه أدباؤه سهام نقدهم للمجتمع الإسرائيلي والساسة، وكان هدف الكتاب يتمثل في إيجاد الحلول لمشكلات المجتمع وما حل به نظرا للحروب المستمرة.

للمزيد راجع: جمال عبد السميع الشاذلي، نجلاء رأفت سالم: القصة العبرية الحديثة مراحلها وقضاياها، الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٧، ص ٣٤.

زين العابدين محمود حسن أبو خضرة: تاريخ الأدب العربي الحديث، القاهرة، د.ن، ٢٠٠٢، ص ٢٣٥:٢٣٠.

٧١ رون فراد- لاميت، غليلها : نأديها,ع,م 15.

٧٢ ش,س,ع,م 48.

٧٣ ش,س,ع,م 70.

٧٤ ش,س,ع,م 64.

٧٥ ش,س,ع,م 105.

٧٦ ش,س,ع,م 47.

٧٧ ش,س,ع,م 49.

٧٨ ش,س,ع,م 67.

٧٩ ش,س,ع,م 27.

٨٠ ش,س,ع,م 27.

٨١ ش,س,ع,م 30.

٨٢ ش,س,ع,م 31.

٨٣ ش,س,ع,م 17.

٨٤ ش,س,ع,م 18.

٨٥ ش,س,ع,م 19.

٨٦ رولان بورنوف، ريبال أونيليه : عالم الرواية، ترجمة نهاد التكرلي ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١، ص

.١٥

٨٧ مصطفى الضبع : استراتيجية المكان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٨ ... ص ١٠٩.

- (٨٨) مرعي، فؤاد: مقدمة في علم الأدب، دار الحدائثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ١٩٨١... ص ١٦.
- ⁸⁹ رون فرד- عمית، גלילה : נאדיה، עס' 9.
- ⁹⁰ שם، עס' 9.
- ⁹¹ שם، עס' 9.
- (٩٢) راجع: عبد العالي بو طيب: العتبات النقدية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية، جريدة العلم المغربية، (الملحق الثقافي)، السبت ٢٨ إبريل ٢٠٠١، ص ٦.
- ⁹³ رون فرד- عمית، גלילה : נאדיה، עס' 10.
- ⁹⁴ שם، עס' 11.
- ⁹⁵ שם، עס' 11.
- ⁹⁶ שם، עס' 11.
- ⁹⁷ שם، עס' 12.
- ⁹⁸ שם، עס' 13.
- ⁹⁹ שם، עס' 14.
- ¹⁰⁰ שם، עס' 19.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية

١- الكتب

- جمال عبد السميع الشاذلي، نجلاء رأفت سالم: القصة العبرية الحديثة مراحلها وقضاياها، الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٧، ص ٣٤.
- رولان بورنوف، ريال أونيليه : عالم الرواية، ترجمة نهاد التكرلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٩١.
- زين العابدين محمود حسن أبو خضرة: تاريخ الأدب العبري الحديث، القاهرة، د.ن، ٢٠٠٢.
- عبد العالي بو طيب: العتبات النقدية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية، جريدة العلم المغربية،(الملحق الثقافي)، السبت 28 إبريل 2001.
- عبد الوهاب محمد المسيري : الشخصية الإسرائيلية، دار القلم ، دمشق، ط ٣، ١٩٩٩ .
- عزمي بشارة : هل يشكل العرب داخل إسرائيل حالة سياسية؟ سلسلة تحليل السياسات للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يناير/كانون الثاني 2011.
- محمود ميعاري: مناهج التعليم العربي في إسرائيل، دراسات نقدية في مناهج اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والمدنات، المجلس التربوي العربي، ٢٠١٤. مرعي فؤاد: مقدمة في علم الأدب، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 1981.

- مصطفى الضبع : استراتيجية المكان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٨.
- هادي نعمان الهيبي: أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، القاهرة، بالاشه تراك مع دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٧.

٢-المقالات والبحوث

- جمال عبد السميع الشاذلي: أثر حرب أكتوبر على المجتمع الإسرائيلي في الرواية العبرية الحديثة : دراسة في رواية الصحوة الكبرى لبني برباش، مجلة رسالة المشرق، مجلد ١١ ، العدد ١٤ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢.
- حنان اخميس : كيف تمت عملية تهجير يهود الفلاشا إلى إسرائيل؟ دنيا الوطن 1 يناير، ٢٠٠٥ . <https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/14744/01/01/2005.htm>
- علي مجد راشد: انعكاس شخصية العربي في أدب الأطفال في السنوات ١٩٩٠ : ١٩١٥ ، جامعة بغداد ، العراق . نسخة pdf على اللينك التالي:
<https://portal.arid.my/Publications/97f81e23-52be-4fb90-4ad-b21f53b4a8a3.doc>
- مجد أحمد صالح: الشخصية العربية في المسرحية العبرية بعد حرب أكتوبر، دراسة في مسرحية نعيم للكاتب أ.ب يهوشوع، مجلة رسالة المشرق، مجلد ١١ ، العدد ١٤ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢.
- محمد كامل: أدب الأطفال العبري قبل عام 1973 م - الصورة السلبية للعربي في قصص الأطفال العبرية، ١٤ نوفمبر 2019.
<https://aqlamblahoyah.blogspot.com/1973/11/2019.html>
- مجلة فكر الثقافية، الشخصية في الأدب العبري، 2015.

http://www.fikrmag.com/topic_details.php?topic_id=٣٦

- ندى يسري علي أحمد: الدلالة المضمرة في رواية نادية - قصة تلميذة عربية للكاتبة الإسرائيلية جلييلة رون فيدر عميت - دراسة نقدية ثقافية، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، العدد ٢٢، يناير ٢٠٢٢.

٣- الرسائل العلمية

- جمال عبد السميع الشاذلي: القصة العبرية القصيرة في أدب عاموس عوز، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، 1991.
- جيل راما رايوخ: العربي في الأدب الإسرائيلي، أطروحة علمية صادرة عن جامعة انديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة نادية سليمان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001.
- يحيى محسن محمد المطالقة: عرب 48 بين الانتماء وفقدان الهوية في النتاج القصصي العبري لسيد قشوع. دراسة في الشكل والمضمون، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠١٢.

ثانياً: باللغة العبرية

١- המקורות

- רון פרד- עמית, גלילה: נאדיה, רומן לילים ונוער, הוצאת ון- ליר, ירושלים, 1985.

2- הספרים

- אורגד : המיעוט הערבי בישראל וחובת שירות ביטחון, המשפט, 2007.
- ג' ישראל-זיידמן : הזכות לשרת בצה"ל, הוצאת פרלשטיין, תל-אביב, 1996.
- הולצמן, אבנר. יומרות מיותרות. בספרו: מפת דרכים : סיפורת עברית כיום,

- תל-אביב ,הקיבוץ המאוחד, 2005.
- משה ברנט : גיוס הערבים לצבא כאינטרס לאומי, האוניברסיטה הפתוחה ,
- בלי תאריך.
- עאדל מנאע: נכבה והישרדות . סיפורים של הפלסטינים שנותרו בחיפה
- ובגליל , 1949: 1956 הוצאת ון ליר, ירושלים, בלי תאריך.
- רון פדר-עמית, גלילה. היסטוריה ושירה מזווית אחרת . ספרות ילדים ונוער חוברת, 135 אוגוסט, 2013.

٣-המאמרים

- בורובסקי, דגנית. בכירי המשטרה הם החשודים. מעריב , מוסף שבת -
- ספרות וספרים, 2 בינואר 2000.
- ברנדס, יוכי. סינדרום הסבתות המופלאות. הארץ, מוסף ספרים , גל' 260 , 18 בפברואר 1998.
- גלסנר, אריק . בראי החברות . מעריב , מוסף שבת - ספרות וספרים, 31 במארס 2006.
- גר, צפרייה. באור ובסתר . ספרות ילדים ונוער , ג' 31 פברואר , 1982.
- וייץ, יחיעם. בגין שבדמיון. הארץ, מוסף ספרים , גל' 917 , 22 בספטמבר 2010.
- זהבי, אלכס. לא הכל אבוד. הארץ, מוסף ספרים , גל' 159 , 13 במארס , 1996.
- ז'קונט, אמנון. מוות בשירותים. ידיעות אחרונות , המוסף לשבת -
- תרבות, ספרות, אמנות, 22 באוקטובר , 1999.

- לוי ורד. חמש שאלות לגלילה רון-פדר עמית: לבבות הילדים פתוחים. הארץ, מוסף ספרים, גל' 903, 16 ביוני, 2010.
- סצ'רדוטי, יעקבה. טרנסטקסטואליות בשירות הציונות: אידאולוגיה והבניית זהות לאומית בסדרה "מנהרת-הזמן" לגלילה רון-פדר-עמית. גילוי דעת, גל' 10, סתיו 2016.
- עמרוסי, אמילי. "גם היום ילדים אוהבים את הספרים שלי". ישראל היום, 7 בפברואר 2014.
- רודין, שי: לא מקובלת: הקאנון של גלילה רון פדר עמית, פורסם 1-2 - 2015. 40:13.

<https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4614654,00.html>

רון-פדר-עמית, גלילה הכל בראש. ידעות אחרונות, המוסף לשבת - ספרות, 12 במאי 2006.

ثالثا : باللغة الإنجليزية

- Israel in Figures 2010, Israeli Central Bureau of Statistics, 2010. <https://cbs.aw/wp/>
- Margalith, Haim: "Enactment of a Nationality Law in Israel". The American Journal of Comparative Law. 2 (1),1953 .
- Mendel, Y : The Creation of Israeli Arabic. University of Cambridge 2014